الذين لم يعودوا

قصص قصيرة

أحمد نجيب

الذين لم يعودوا

اســـــم الكتـــــاب: الــــــذين لــــــم يعــــــودوا

التــأليــــــــــف: أحمـــــــد نجيـــــــــب

مراجعـــة وإخـــراج: فريـــد محمـــد محســـن

رقـــم الإيــــداع: 2026/ 9517

التـــرقيم الـــدولي: 978-977-835-533-8

الناشــــــــــــر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

٤ ش بديع خيري متفرع من ش عبد الحميد بدوي خلف كنتاكي نادي الشمس مصر الجديدة ـ مصر.

Facebook دار زحمة كتاب للنشر

Email za7ma.kotab@gmail.com

Tel 002 01205100596

002 01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر

محفوظة لدار زحمة كُتَّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

الذين لم يعودوا

تأليف

أحمد نجيب

الذين لم يعودوا

من وجهة نظري،

الرعب الحقيقي ليس بعيدًا ولا خياليًا.

بل قد يكون قريبًا جدًا من كل واحدٍ منا.

يبدأ حين يختلّ روتين الحياة فجأة.

حين ينحرف المسار المألوف إلى طريق مجهول.

حين يحدث اختلال في النظام.

هناك أشياء لا تظهر دفعةً واحدة.

بل تتسلل.

تدخل حياتك في لحظة تعب.

في طريق جانبي.

في مرآة وقفت أمامها أطول من اللازم.

أو في سرّ قبلت أن تحمله وحدك.

هذه القصص لا تتحدث عن الأشباح.

ولا عن الجن.

ولا عن الماورائيات كما تُروى في الحكايات الشعبية.

هي عن الشقوق الصغيرة في الواقع...

حين يتصرف المكان كأنه يتذكّرك.

وحين يختارك الطريق بدل أن تعبره.

وحين تكتشف أن المعرفة ليست دائمًا نعمة.

أبطال هذه القصص ليسوا شجعانًا.

ولا أشرارًا.

ولا باحثين عن الحقيقة.

هم أناس عاديون جدًا...

تعثّروا في ما لا يجب أن يُرى.

أو سمعوا ما لا يجب أن يُسمع.

أو نجا أحدهم.

ليكتشف أن النجاة نفسها

قد تكون العقوبة.

قد تبدو بعض هذه القصص مألوفة.

كأنك سمعتها من قبل.

أو عشت طرفًا منها.

أو كدت تقف في مكان أحدهم ذات فجرٍ بارد.

وهذا مقصود.

لأن الرعب الحقيقي

لا يأتي من المجهول البعيد.

بل من القريب جدًا...

القريب لدرجة أنك لا تلاحظه

إلا بعد أن يترك أثره فيك.

بعض هذه القصص تجارب مررتُ بها شخصيًا.

وبعضها سمعته من أشخاص مرّوا بها.

وتركت فيهم أثرًا لا يُمحى.

والمهم أنك، في النهاية.

ستدرك أنها قريبة منك بشكلٍ ما.

لذلك...

إذا كنت تقرأ هذه الصفحات ليلًا.

فربما يكون هذا الوقت غير مناسب.

وإذا كنت وحدك.

فربما كان من الأفضل ألا تكون.

لكن إن أكملت القراءة.

فتذكّر شيئًا واحدًا فقط.

بعض الأبواب.

حين تُفتح.

لا تُغلق...

حتى لو تركتها خلفك .

إهداء

إلى أصدقائي،

الذين وثقتُ في آرائهم، وكانوا ينتظرون قصصي بشغف،

فمنحوني الثقة والجرأة

لأنشر كلماتي دون تردّد.

وإلى والدي – رحمه الله–

الذي جعل من منزلنا مكتبةً كبيرة،تحتوي على كتب المعرفة والحكايات، والذي كان يقرأ قصصي وأنا صغير بفخرٍ وسعادة، ويشجّعني دائمًا على الاستمرار.

وإلى أمي،

وزوجتي، وأبنائي، وأخوتي،

شكرًا على دعمكم،

وثقتكم.

کفرشِید

كفر شديد

الساعة 4 قبل الفجر ..

الجو بارد جدًا والأمطار شديدة ..

كنت منقولاً إلى عمل جديد في محطة لإنتاج الغاز الطبيعي في محافظة كفر الشيخ ..

جوجل رسم لي الطريق من نبروه حتى مكان المحطة ماراً بالعديد من القري النائمة المظلمة ..

الطريق غير ممهد، ومع الأمطار تحوّل إلى طين لزج جعل السيطرة على السيارة مخاطرة حقيقية.

مع احتمال أن تنزلق السيارة والسقوط في أقرب ترعة على جانب الطريق هو الاحتمال الأقرب..

وحيد على الطريق ولن يشعر بي أي أحد حتى شروق الشمس ..

وصوت أم كلثوم في الراديو مع البرد ساعد أن النعاس بدأ يتسرب لخلايا مخي ببطء ...

أيها الساهر تغفو .. تذكر العهد وتصحو

وإذا ما التأم جرح .. جدّ بالتذكار جرحُ

فتعلّم كيف تنسى .. وتعلّم كيف تمحو

صوت الست كان يرتجف بردًا مع خروشة الراديو، وعندما قالت (أيها الساهر تغفو)، شعرت ببرودة تسري في عمودي الفقري، وكأنها تخاطبني أنا.. الوحيد في هذا العدم ..

رهيبة أم كلثوم وهي تغني الأطلال ..

كان لابد من التوقف و شرب كوب من القهوة الدافئة لإعادة تشغيل مخي من جديد ..

على مرمى بصري ..

كان هنالك ضوءٌ بعيد .

تقريبـًا مدخل الى قرية ما على مسافة اثنين كيلومتر تقريبًا ..

فرصة للعثور على كشك أو أي مشروب ساخن حتى أستفيق ..

المطر يزداد .. وقبل أن أصل لمصدر الضوء – والذي اتضح أنه مدخل لقرية بالفعل – بدأت الشبورة – ضباب – كثيفة تغلف المكان ...

شبورة مع أمطار تبدو غير مفهومة ..

كان هناك لافتة كتب عليها (كفر شديد) ..

مقهى في مدخل القرية ..

شعرت بسعادة حيث أن المقهى هو ما كنت أحتاجه بالضبط.

نزلت من سيارتي ودخلت المقهى ..

لأسمع أم كلثوم بالداخل وهي تقول : كم بنينا من خيال حولنا ؟...

ومشينا في طريق مقمر .. ومشينا في طريق مقمر ......

اندهشت للصدفة الجميلة ! ... المقهى يستمع لنفس موجة الراديو..

بالفعل طريق مقمر .. وإن كنت أتمني أن تكملي الوصف بطريق بارد جدًا ..

جلست على كرسي ... المقهى دافئ جداً

جاء رجل كبير السن ورفيع و أسمر البشرة يقول بصوت مبحوح قليلاً " حمد الله على السلامة يا بشمهندس "

نظرت إلى عينيه .. إحداهما خربة تمامًا والثانية على وشك .. وفي عقلي قلت لنفسي " شكلي مهندس للدرجة دي؟ "

قلت له: " ممكن قهوة ثقيلة دوبل ساده؟" ..

انحني الرجل برأسه وانصرف وغاب في المطبخ قليلاً .. فجلست أتأمل المكان ..

مقهى فقير جدًا .. نظافة معقولة .. 6 طاولات ومع كل طاولة كرسيين خشب عتيق الشكل واللون ..

يبدو أن الشبورة بالخارج تزداد وجعلت الرؤية خارج المقهى مستحيلة ..

أنا حتى لا أري سيارتي ..

ركنت رأسي على الحائط ..

مرت دقائق ثم سمعت صوت الخطوات ..

خطوات بطيئة و ثقيلة قادمة من خارج المقهى ..

ثم بدا كأن هناك ظل وسط الضباب لرجل ضخم ..

وقف قليلاً أمام الباب غير واضح المعالم كأنه يدرس المكان أو متردد في الدخول ..

ثم بخطوات ثابتة ثقيلة دخل لأري رجل ذو ملامح غليظة وكرش وشنب يرتدي جلبابًا رمادي اللون ..

هنا رأيت عينيه .. عيون وقحة ..

لم تكن ثيابه مبتلة .. هل توقفت الأمطار ؟؟

نظر إلى .. تفحصني بنظراته طويلاً .. ثم سحب كرسي على طاولة وجلس ..

وبصوت جهوري قال: "مرعي ... هو الأستاذ جه تاني؟ هات حجر معسل وشاي " ..

رد عليه مرعي من الداخل : " عينيا يا سلطان "

نظرت إليه في عدم فهم وسألته :

" أستاذ مين ؟؟ تقصدني أنا ؟ "

نظر تجاهي بلا مبالاة بعيون وغد أو مخادع ..

سألني : " مش انت الى كنت بتصطاد سمك هنا بالليل؟"

رددت " لأ طبعًا .. مش أنا "

أدار وجهه منهيًا الحديث .

ظهر مرعي حاملاً قهوتي .. لاحظت أن يديه الرفيعتان ترتعشان وهو يمسك فنجاني ..

وضع الفنجان بسرعة وعدم إتزان على طاولتي فانسكب جزء بسيط منها..

"مفيش مشكلة .. حصل خير "

مرت دقائق أخرى وأنا أحتسي قهوتي ..

وإذ برجل رفيع أسمر بجلباب يدخل وفي يده طفل في عمر العاشرة تقريبًا يرتدي جلبابًا هو الأخر ..

جلسوا على طاولة أخرى قريبة وقال: " مرعي .. 2 حاجه ساقعة" ...

منذ أن غادرت نبروه لم أري بني أدم على الطريق ..

هل بدأ الناس في الاستيقاظ ؟ وهل أول ما يفعله هؤلاء القوم في يومهم هو الجلوس على المقهى ؟

أم كلثوم تستكمل : " وضحكنا ضحك طفلين معـًا .. وعدونا فسبقنا ظلنا "

وبينما كان الأخ سلطان يسحب أنفاسه من المعسل دخل شابين أخرين للمقهى .. "مرعي هات كازوزة و طاولة" ..

ليرد عليه مرعي من الداخل " حاضر يا عبيد "...

طاولة نرد في الفجر ؟؟

مع الازدحام بدأت أفوق تمامـًا ... في اعتقادي أن المقهى في منأي عن القرية ذاتها .. من أين يأتي هؤلاء ؟

نظرت إلى ساعتي .. دقيقتين على الفجر ..

حاولت فتح جوجل ماب لمعرفة المسافة المتبقية لأصل هدفي ... لا شبكة ..

شربت المتبقي من القهوة على مرة واحدة ...

ونظرت لهم ...

وجدت الخمسة يبتسمون ابتسامة واسعة وينظرون إلى ! ..

زحفت القشعريرة إلى عمودي الفقري ..

ندهت على مرعي " حسابي كام ؟"

اندهش مرعي جدًا لسؤالي ثم بدأ يضحك بصوت عالي ..

وبدأت هيستريا ضحك من مرعي والخمس الجالسون وهم ينظرون إلى ويقهقهون .. وبدا كأني أسمع أصوات ضحك لأكثر من عشرة أفراد في المكان وإن كنت لا أراهم!

ارتبكت فزعًا .. نهضت متعثراً في طاولتي وأنا أصرخ فيهم " في إيه؟ "

لم يرد أحد ..

أم كلثوم تستمر " وعدونا فسبقنا ظلنا " .!

في نظرة عابرة لاحظت ..

تلك المجموعة ليس لهم ظلال ... بالفعل لا ظلال لهم .

سلطان يسحب أنفاس المعسل دون أي دخان ؟

في هلع حاولت تجاوز الطاولات والمرور بينهم بينما أشعر ان المقهى بالكامل يدور من حولي ..

وقفوا جميعًا في نفس اللحظة وبسرعة ...

ظلوا ثابتين واقفين في أماكنهم بينما أنا اراقبهم وهم يضحكون ..

خرجت منطلقـًا إلى الخارج وسط الشبورة ... ولم يتبعني أحد ..

خرجت من الدفء الشديد إلى البرد الشديد في ثانية ..

الأمطار تهطل بشدة ...

مسرعًا .. ركبت سيارتي هربـًا ..

بينما يقف ثلاثة كلاب ينبحون على بعد عشرة أمتار مني دون أن يقتربوا..

حاولت تشغيل السيارة .. ولكن لم تدور ...

سمعت صوت أذان الفجر من بعيد ..

وبدأت الشبورة تنقشع ..

بهدوء ...

حتى اختفت الشبورة ...

واختفى المقهى !

نزلت من السيارة ..

نظرت حولي ... مجرد أرض فضاء واسعة ..

تبدو كأنها أرض بور أو شونة غلال ..

لا مقهى ..

لا قرية ..

فقط لافتة قديمة صدئة مكتوب عليها " كفر شديد "..

نظرت نحو الكلاب ولاحظت أن الكلاب تنبح تجاه الأرض الفضاء .. وليس تجاهي .

فتحت جوجل ماب – الذي عاد يعمل ببساطة – النقطة الزرقاء التي تمثلني كانت تنبض في وسط مساحة رمادية فارغة..

لا طرق، لا قرى، لا أسماء.

فقط فراغ ممتد ...

صوت الأذان قادم من بعيد ولمحت نور المئذنة..

ركبت سيارتي وأنا ارتجف بشدة رعبًا و بردًا.

لمحت بقعة لونها بني على قميصي !..

تحسستها بإصبعي .. خشنة الملمس ..تذوقتها لأفهم مصدر البقعة ..

لأجدها بقعة قهوة ثقيلة دوبل سادة ..!

دارت السيارة بسهولة وعاد الراديو و أم كلثوم وهي تقول بصوتها الساحر :

وإنتبهنا بعد ما زال الرحيق .. وأفقنا ليت أنّا لا نفيق

يقظة طاحت بأحلام الكرى .. وتولي الليل والليل صديق

وإذا النور نذيرٌ طالعٌ .. وإذا الفجر مطلٌ كالحريق

وإذا الدنيا كما نعرفها .. وإذا الأحباب كلٌّ في طريق

قبل أن أنطلق هربًا .. ألقيت نظرة أخيرة على المكان .. حتى لافتة كفر شديد إختفت ! و لمحت طفلاً بجلباب يجري بعيدًا نحو الترعة .. قبل أن يتواري عن نظري في الظلام خلف أشجار الموز.

طريق
الزعفرانة

طريق الزعفرانة

كنت مسافرًا في ليلة من ليالي نوفمبر 2009 الشتوية متجهًا إلى محافظة البحر الأحمر .. راكبًا ميني باص (القاهرة – الغردقة) الساعة التاسعة ليلاً ..

14 راكبًا ...

من ضمنهم 3 عساكر مجندين كانوا أول من ركب..

وجلسوا في منتصف الباص ..

بينما جلست انا خلف السائق مباشرة ..

السائق كان رجلاً كبيراً في السن وعلى الأغلب في منتصف الخمسينات .. متزن في قيادته

على قرب الساعة 12 ليلاً كنا قد بدأنا طريق الزعفرانة – الغردقة ..

السائق منذ الانطلاق من القاهرة والراديو على إذاعة القرآن الكريم بصوت المنشاوي ..

أسندت رأسي إلى الشباك ونمت ..

لكني استيقظت لبضع دقائق عندما قام السائق بتدخين سيجارة وفتح الشباك بجانبه لطرد الدخان ...

فكان الهواء البارد الذي يصفع وجهي السبب في أن أستفيق ...

كنا قد خرجنا للتو من طريق الزعفرانة في اتجاه رأس غارب ..

هو طريق طويل لا يوجد به أي خدمات ..

فقط الصحراء و الخواء من اليمين و من اليسار .. ولا يكسر الظلام سوي ضوء القمر والذي كان بدراً في تلك الليلة ..

وبعد حوالي 25 كيلو بدأ صوت إذاعة القرآن في التشوش ... وعلى ما يبدو كأن إذاعة أخرى تتداخل مع إذاعة القرآن على نفس التردد ..

وفي أقل من دقيقة سيطرت الإذاعة الدخيلة تمامًا على الراديو ... وتوقف صوت القرآن ..

كان الصوت الدخيل يبدو كصوت أنفاس مكتومة ....

لا كلام ..

لا أغاني ...

لا حديث ...

لا شيء ...

مجرد أنفاس ثقيلة ..

كنت بدأت التركيز والتفت للخلف أنظر إلى باقي الركاب ..

الكل في سبات عميق وقد تدلي رؤوسهم يمينـًا و يساراً ...

ما عدا الجنود الثلاثة..

منذ بداية الرحلة لم يناموا قط .. ولم يدر بينهم أي حديث ..

فقط نظرات ثابتة هائمة جامدة ... من وجوه متخشبة خشنة

إلتفت الثلاثة إلى .. عيونهم !! عيون سوداء كأن عيونهم مطلية بالحبر ... دون أن يرمشوا

فعدلت من جلستي وقد انتابتني القشعريرة...

وألقيت نظرة على السائق حين لاحظت أن السائق – المتزن – يقود بسرعة غير معتادة ...

أظنه قد تجاوز ال 160 كيلو / الساعة ...

صوت الأنفاس في الراديو يتزايد ...

بدأت أسمع صوت شخص يتحدث وصوت همهمه مكتومة ...

الحديث غير واضح ...

ثم بدأت أسمع أصوات هوب هوب هوب هوب ...

كأنها أصوات تدريبات عسكرية ....

صوت التدريبات لم يكن من الراديو ... بل من حولنا ..

من الطريق نفسه ..

بدأ بعيدًا .. ثم ازداد علو الصوت حتي صار واضحًا .

هل يوجد وحدة عسكرية قريبة ؟؟

وتدريبات في منتصف الليل ؟؟

ارتفع الأدرينالين في دمي بفعل التوتر ..

من سرعة السائق ومن الأصوات ..

فسألت السائق بصوت هاديء :" ما تهدي شوية يا أسطي !! و إية الأصوات دي؟"

رد ببرود مصطنع وهدوء :" ما تشغلش بالك إنت .. هيروح دلوقتي .. نام وأنا هوطي صوت الراديو" ...

قلت باندهاش :" هو أنا مشكلتي إني مش عارف أنام ؟ أنا بقولك إنت مسرع ليه ؟ وإيه صوت الراديو ده؟"

لم يرد السائق ولم يعلق بمنتهي قلة الذوق ...

ملت برأسي جانبـًا كي أنظر إليه من الجنب ..

كانت شفتاه على ما يبدو تتلو آيات قرآنية وعينيه ثابتة على الطريق ممسكـًا بعجلة القيادة بقوة ...

إزداد قلقي ..

ثم بدأ يهدء من سرعته تدريجيًا حتي توقف على جانب الطريق ولاحظت أن الراديو انطفأ ...

نظرت حولي ... المكان مهجور جدًا ...

أصوات الهوب هوب هوب جماعية كأنها صدي يتكرر من الصحراء ذاتها ..

ونزل والتف حول الباص حتي جاء بجانبنا .. فتح الباب الجانبي نزل الثلاثة جنود دون أي كلام ...

ودون دفع الأجرة ...

ولم يطلبها السائق !!..

لمحت ملابسهم العسكرية .. تبدو قديمة متسخة ومهترئة .. بينما أنا ممسك بحافة الكرسي بقوة.

كانت أجسادهم الثلاثة هزيلة ورفيعة ..

في هدوء ودون أي كلام مشوا في اتجاه الصحراء ....

بخطوات خفيفة سريعة غاصوا داخلها ..

كنت أسمع نبضات قلبي .. وقد توقفت عن التنفس.

نظرت لباقي الركاب .. في عيونهم الناعسة قلق و عدم فهم .

إنتظر السائق حتي اختفوا .. أعاد تشغيل الراديو ثم تحرك مكملاً الطريق من جديد ...

وبعد 5 دقائق .. بدأت الإذاعة الدخيلة تختفي بالتدريج و عادت إذاعة القرآن للعمل من جديد ..

وعاد السائق للسير بسرعته الهادئة ... بينما جلست أنا و باقي الركاب نراقب الطريق وننظر إلى بعضنا البعض في تساؤل صامت حتي وصلنا رأس غارب .. توقف السائق في إستراحة إسمها "الخليج" ..

نزل الجميع لدخول الحمام و الاستراحة ..

وجلس السائق على طاولة وحيداً .. وقام العاملون في الكافتريا بإنزال الفول و البيض والشاي للسائق ..

يبدو أن الموضوع روتيني و طلبات السائق معروفة مسبقـًا..

لم أستطع أن أتمالك نفسي و جلست على نفس طاولته

بينما هو منهمك في الأكل .. ملامحه ملامح صعيدي رزين ..

سألته :" ما ردتش عليا ليه يا أسطي لما سألتك ؟"

قال وهو ينظر لي بتمعن وقد توقف عن الأكل :" معلش يا ولدي ما تآخذنيش ..بس مكنتش عايز أعمل قلق خصوصـًا إن كان في ركاب صحيوا على كلامنا وبيسمعونا" ..

بدهشة شديدة سألته : "قلق ؟؟ قلق ليه؟"

قال :" أنا الى كنت مستغرب إنك صاحي لدرجة إن شكيت فيك إنك معاهم ؟"

الكلام يزداد غموضـًا :" مع مين ؟"

سكت قليلاً .. كان متردداً ما بين أن يحكي أو يصمت ..

بعد ثوان من التفكير قال :" بص هي حكاية غريبة .. بس إحنا السواقين على الخط عارفينهم وإتعودنا عليهم "..

مسك كوب الشاي وأخد رشفة كأنه يبتلع الكلمات و أكمل :" رحلة نص الليل دي أوقات – قليلة بس بتحصل – إن يركب معانا فيها عساكر .. لا بنكلمهم ولا نسألهم نازلين فين ولا جايين منين ولا بنطلب منهم أجرة"

" مش بتطلب أجره ليه ؟؟ ثواب يعني ؟"

" علشان الشهيد مش هيدفع يا ولدي "

كنت أنظر إليه في عدم فهم محاولاً إستيعاب الكلام ..

هل قال "شهيد" ؟ .. ملامحه تقول أنه جاد جدًا

ثم قال " ولعلمك بيركب معانا عساكر حقيقين دائمًا فلا استطيع تميزهم من بعض "

بدأ ينهمك من جديد مع طبق الفول ..

عدت أسأله في فضول ممزوج بالخوف : " وده معروف في المحطة يعني ؟ "

نظر إلى هو يلوك الطعام وقال " لا .. غالبًا ده بيحصل على خط البحر الأحمر و العين السخنة بس .. ومش شرط يركبوا معانا ... عندك مثلًا طريق الزعفرانة و طريق الشيخ فضل .. كثير يظهر عليهم جنود ماشين على جنب وأوقات بيقطعوا علينا الطريق .. كثير حصلت حوادث بسببهم .. وأوقات تلاقيهم بيجروا ورانا بنفس سرعتنا .. "

سكت ليبتلع لقمة البيض ثم أكمل " مين دول؟؟ أيه قصتهم ؟؟ بصراحة يا ولدي أنا معرفش.."

"بس أنا أول ما لقيت الراديو إتغيير عرفت إن الجنود الى معانا عايزين ينزلوا .. ولعلمك أنا عمري ما بوقف في الحتة دي... الباص هو اللي وقف .. "

كنت أسمع الكلام وأنا في قمة الاندهاش .. السائق لا يخترع القصة بل حدثت أمام عيني..

لكن خوفي ورفضي لتصديق القصة جعل شعوري ما بين الاندهاش والرعب ..

كان السائق قد توقف عن الحديث طلبـًا لبعض الخصوصية مع الفول والبيض ..

من ثم قمت أنا الآخر طلبـًا لقهوة من الكافتريا تبقيني متيقظـًا ومنتبهـًا للباقي من الرحلة المرعبة ..

وقبل أن أنصرف قال السائق :" بلاش تحكي للشباب الى معانا ... مش هنستفاد حاجه إن نخليهم يقلقوا أو يخافوا" ..

ثم قال وهو يرشف من كوب الشاي" يلا .. الله يرحمهم ويرحمنا"

تركته وأنا أحمل كوب القهوة وأسير وأفكر بذهني في كلام السائق ..

من هم حقـًا وما قصتهم ؟ ...

كانوا جالسين خلفي وبيني وبينهم سنتيمترات ؟؟

الهواء البارد يلفح وجهي قبيل ساعات الفجر ...

إبتعدت قليلاً عن ضوضاء الكافتريا و صخب الناس وإقتربت قليلاً من الطريق ..

أري من بعيد ..

مجموعة من الجنود تسير بخطوات ثابتة هناك تحت ضوء القمر ..

سرعتهم ثابتة ..

يسيرون في اتجاه الصحراء مبتعدين ..

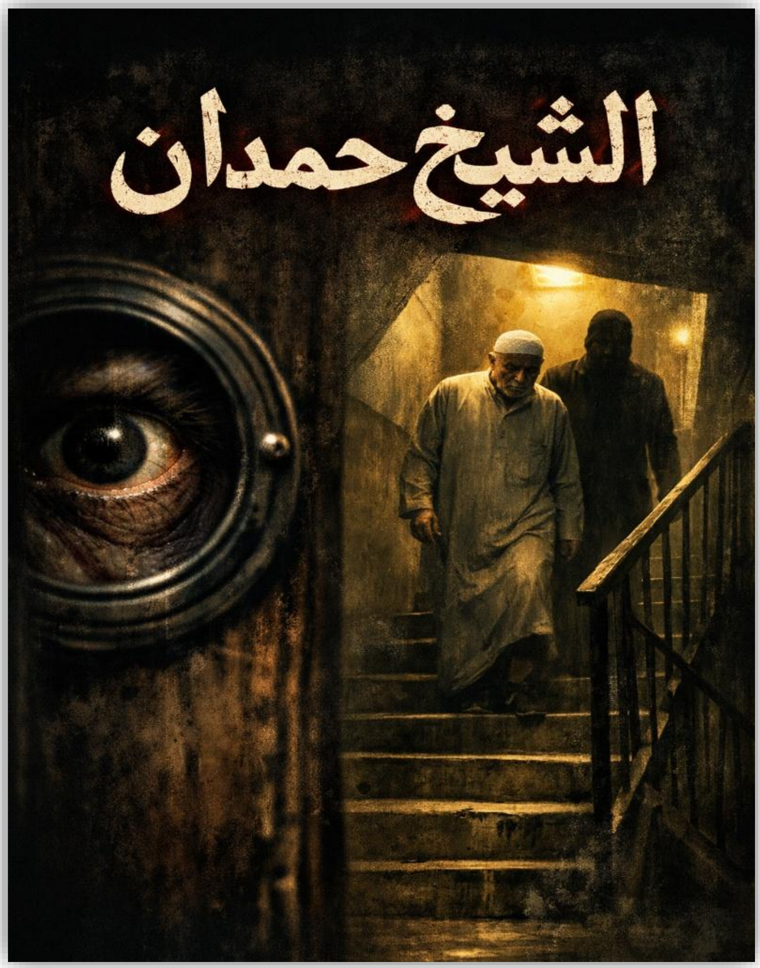
الشيخ حمدان

الشيخ حمدان

كنت قد اعتدت الجري قبل الفجر في الحديقة المحيطة بالمربع السكني الذي أسكن فيه ..

ميزة الكومباوند أن العمارات موزعة على هيئة مربعات ..

ووسط المربعات حديقة ذات ممشي رائع جدًا ومخصصة للجري ..

الأجواء مظلمة وهادئة ولا أحد غيري في المنطقة ..

أخذت الإيربود وموسيقتي وبدأت الجري الساعة 4.10 صباحـًا ..

الفجر لم يأذن بعد .. ولكن شعرت لوهلة أنني لست وحيدًا

نظرت بعيدًا وجدت رجلاً يجري جري هادئ قادم في اتجاهي وذراعيه لا تتأرجحان ..

حين اقتربنا .. هدأ هو من سرعته ونظر إلى بابتسامة !!

حاولت أن أتبيّن ملامحه كي اتعرف عليه .. ربما هو شخص يعرفني و اعرفه !!

ملامحه غير واضحة ..

ولبسه غريب غير مهندم ... لم ألحظ سوي ابتسامته وإن كنت قد شعرت أيضـًا بعدم الإرتياح ..

لم أهتم و تابعت الجري و تجاهلته ..هو أيضًا لم يحاول التحدث إلى ..

انتهيت من الضلع الأول من المربع جريـًا .. وبدأت في الضلع الثاني لأجد نفس الشخص قادمـًا من بعيد ..

من بداية نفس الضلع ويجري في اتجاهي بنفس الطريقة و بذراعين لا تتأرجحان !!

وللمرة الثانية .. تمهل في جريه قليلاً وهو ينظر إلى بتركيز شديد و يبتسم !!

لا زلت لا استطيع تميز ملامحه ولا اميز سوي ابتسامته ...

تابعت الجري والتجاهل ... وانتهيت من الضلع الثاني و مع بداية الضلع الثالث ...

رأيته من جديد ...

قادمـًا مع بداية الضلع !!

هنا توقفت .. هناك شيء غير منطقي و غير طبيعي ..

كل ضلع أبدأه هو هناك في بدايته ؟؟ كأنه ينتظرني

نزعت الإيربود من أذناي ونظرت خلفي باحثًا .. إذ ربما أكون واهمًا و هناك شخصان يدوران حول المربع !!

لكن .. لا أحد في المربع بأكمله ...

فقط أنا وهو ..

كيف ؟؟ كيف استطاع الدوران حول المربع بأكمله ليعود في مقابلتي من جديد بينما أنا لازلت في ضلع واحد ؟

بدأت الإنسحاب لقلب الحديقة هربًا .. وبهدوء في اتجاه المنزل ..

كوني وحيداُ الآن جعل خوفي مضاعفًا ..

كانت عيني ثابتة عليه بينما هو يتابع الجري وعينيه تراقبني ..

انسحبت بهدوء مع الحفاظ على المسافة ثابتة بيني وبينه وبترقب ..

دخلت العمارة وصعدت السلم مسرعـًا ..

حين وصلت للطابق الأول .. سمعت صوت باب العمارة يفتح ..

نظرت من الأعلى ...

وجدته !!

الآن هو يتبعني دون أدني شك ..

دخل العمارة و بدأ طلوع السلم بسرعة غير طبيعية كالمجنون !!

مفزوعـًا أمام باب الشقة اخرجت المفتاح بسرعة ..

و فجأة أضيء السلم ..

وسمعت صوت لشخص ما هابطًا من الطابق العلوي على السلم ...

تجمدت في مكاني ...

لأجد جاري الساكن في الأعلى نازلاً لصلاة الفجر في المسجد ...

الشيخ حمدان ..

شعرت بتوتر .. أعدت النظر إلى السلم في الأسفل ... لا يوجد أحد!

أين أختفي ؟؟

شيخ حمدان نظر إلى في دهشة و سألني : " مالك يا بشمهندس ؟ فيك إيه ؟"

رددت بقلق : "شيخ حمدان في حد بيلاحقني وطالع ورايا السلم" ..

نظر حمدان على بئر السلم ... دقيقة كاملة يفحص بعينيه ..

ثم قال :" مفيش حد يا بشمهندس .. اهدأ بس ممكن يكون حد من السكان الى تحت .. الكومباوند أمان ما تقلقش .. تعالي ننزل سوا نصلي الفجر" ..

بيني وبين نفسي كنت مرعوبـًا .. وعقلي رافض للنزول .. مستحيل " اسبق إنت يا حج "..

دخلت إلى شقتي وأغلقت الباب وفتحت الشباك المقابل لمدخل العمارة ..

أرى شيخ حمدان يسير في اتجاه المسجد ..

والرجل الذي كان يلاحقني يسير خلفه !!

اتجهت بسرعة للشرفة كي أحذر حمدان ..

للأسف ابتعد عن ناظري ..

حاولت الإتصال به ... ثواني انتظار ... التلفون مغلق !

انتظرته في الصالة وأنا أسمع صلاة الفجر ..

حتي انتهت ..

اتجهت من جديد إلى الشرفة أنتظر الشيخ ..

الأن أراه عائداً و الغريب لا يزال يسير خلفه . و حمدان لا يشعر به ؟!

دخلوا معـًا الي العمارة ..

بسرعة ذهبت الى باب الشقة وسمعت صوت شيخ حمدان من وراء الباب ..

فتحت الباب : "يا شيخ في حد معاك ؟؟"

في دهشة .. وبملل وشك رد على :" تاني ؟؟ .. يا بشمهندس أنا وحدي قصادك أهو .. مالك بس ؟"

نظرت على السلم في الأسفل ...لا أحد ..

" أصل أنا شفت الراجل ده ماشي وراك وانت رايح الصلاة و كمان وانت راجع "..

حمدان نظر إلى نظرة شك لم تشعرني بالإرتياح ..

ولكنه رد بهدوء :" تصبح على خير يا بشمهندس " ..

وأكمل صعود السلم ...

قبل أن اغلق باب الشقة لمحت الظل ..

نظرت من العين السحرية .. وجدته !!

هو ... ينظر لباب شقتي بثبات ...

اقترب بوجهه جدًا من العين السحرية مباشرة ..

يعلم أني اراقبه من وراء الباب !! ...

قلبي سيتجمد من الرعب ..

شهقت و ابتعدت عن الباب وأنا أكتم صوتي ..

ببطء أعدت النظر من جديد .. لا يزال ينظر إلى بثبات .. وحدقتاه تتحركان بسرعة جنونية كأنه يفحصني ..

كان يعلم أني سأعاود النظر عليه ..

ثم ابتعد إلى الخلف .. ونظر إلى الأعلى

وبدأ الصعود وراء الشيخ حمدان !.

كان حمدان قد وصل إلى باب شقته وسمعت صوت الباب يغلق .. قبل أن يلحق به غريب الأطوار ..

طلبت الأمن فتشوا العمارة ولم يجدوا أى أثر ..

ووعدوا بالبقاء قريبين تحسبًا لأي أمر طارىء

دخلت إلي سريري ... لن أنام من التفكير ...

بعد ساعتين سمعت صوت الصراخ قادمـاً من فوق ..

وهاتفي يرن ... رددت بسرعة لأسمع صوت زوجة حمدان منهارة :" الحقني يا بشمهندس .. عمك مش بيصحي ومش بيرد عليا !! "

وقبل أن تكمل كلامها كنت أنا منطلقـاً عبر باب شقتي مهرولاً في الظلام على السلم إلى فوق .. لكن توقفت فجأة ...

كان الشيخ حمدان وذلك الغريب يهبطان سويًا السلم وينظرون لي ..

حمدان بوجه شاحب مستسلم ..

بينما الغريب .. لا زالت ملامح وجهه غير واضحة متخفيًا في الظلام..

مروا من جنبي ...

أرى حمدان ينظر إلى متجهمًا .. منزعجًا.

الغريب لم يكن يطارنى ! بل كان ينتظر الشيخ حمدان .

اكملوا النزول وأنا ثابت في مكاني ارتجف ..

ثم سمعت زوجته من فوق تنده على وهي تبكي ..

تابعت الصعود بسرعة وأنا أسألها حين رأيتها :" هو ايه الى بيحصل ده ؟؟"

ردت وهي منهارة :" والله مش عارفه .. بصحيه مش بيرد عليا.."

"مين دا الى مش بيرد ؟؟؟"

"بقولك حمدان مش بيرد" ..

سبقتني الى داخل الشقة وأنا خلفها ..

لأجد الشيخ نائمًا على الكنبة نومة مفارق للحياة !

أسطورة
نرسيس

أسطورة نرسيس

هل تعكس المرايات "صورتنا" فقط ؟

هل تعكس حقيقتنا ؟؟ هل تعكس خفايانا ؟

هل من الممكن أن تعكس شيء أعمق ؟...

هل هي انعكاس فقط ؟ أم بوابة لعوالم لا نعلم عنها شيئًا ؟؟

أسئلة كثيرة صارت تدور في رأسي كلما تذكرت قصة دعاء...

الحكاية التي مر عليها 15 عاما ، وإلى اليوم تشغل بالي بتفاصيلها و الحديث الذي دار بيني وبينها ..

مع شغف لا يطاق لمعرفة ما انتهت عليه هذه القصة ..

أنا د. ماجد عبد الكريم، طبيب أمراض نفسية...

وفي يوم من ايام صيف 2010، دخلت دعاء الى العيادة...

بنت في الـ 18 من عمرها..

هادية، حساسة، ملامحها بريئة ... جميلة ذات شعر أسود طويل لامع ...

كانت قادمة مع أبيها وأمها... ورابعهم قلقهم.

الأب تكلم أولا : " دعاء بقالها فترة مش طبيعية... نوبات خوف... توتر... ساعات فقدان ذاكرة .. وكل ده بدأ لما نقلنا البيت الجديد "

الأم أكملت " أنا حاسة إنها محسودة ... أو في حاجة مش طبيعية في البيت .. اتحسدنا علشان بيت جديد "

إستمعت إلى شكواهم بصدر رحب بينما هي صامتة .. ثم طلبت منهم أن يتركوني لنتحدث أنا وهي وحدنا.

وبمجرد ما أن انغلق الباب...

جلست أمام دعاء دون أن ترفع عينيها صوبي ..

حاولت أن ألطف معها الكلام ، أبدأ بحديث عادي ...

لكن فجأة بكت وغطت وجهها وقالت بصوت مخنوق:

"ساعدني يا دكتور... أرجوك"

أزحت يديها بهدوء من على وجهها... وطلبت منها أن تفرغ كل ما بداخلها وأني سأستمع لها حتي النهاية .. بل سأساعدها قدر استطاعتي ..

كانت متوترة للغاية، ولاحظت أن أظافرها مغروزة في ساعدها من القلق.

قالت: "البداية كانت مع المراية في غرفتي... الغرفة كلها جديدة، والإضاءة قوية... والدولاب نصه مراية كاملة. أول مرة في حياتي أشوف نفسي بالوضوح ده".

"كنت أقف أمام المرآة بالساعات... ليس للتجمّل... لكن للتأمل"

كانت تنظر لوجهي لتتأكد من أني مهتم بالفعل لحكاياتها و تتأكد من قدرتي على تصديقها أم لا ...

تقول: " كنت باشوف شكلي حلو... بس مش حلو بس... كنت بحس بنشوة غريبة. ببدأ أبص لتفاصيل جسمي أكتر من الطبيعي... ساعات أبص على عيوني... وأحس إن النظرة مش نظرتي أنا".

لازالت عيونها على وشك البكاء وهي تكمل حديثها : " في لحظة... شعرت بحضور آخر في الغرفة ... كل مرة أقف قدامها كتير... أتوتّر، مش علشان بعمل حاجة غلط... لكن لأني حاسة إن في حد شايفني"

"بدأت أتجنب غرفتي... أقعد وسط أهلي أطول وقت ممكن .. لكن الغرفة كانت “بتنده عليا"

كل ما أحاول أبعد... إحساس غريب يجبرني أرجع".

وأرجع فعلاً أقف امام المرآة من تاني

"وفي ليلة... دخلت غرفتي وكنت ناوية أدخل الى السرير من غير ما أبصلها... لكن أول ما دخلت لقيت المراية مستنّياني .. وقفت أمامها .. تجمدت ... "

تقول: "أنا كنت واقفة... بس اللي في المراية مكانتش ابتسامتي... ولا نظرتي. عيوني فيها لمعان... مش لمعاني.... لا ده لمعان شهوة؟ أو جوع؟ مش فاهمة. كنت حاسة إنها مبسوطة... ومتلخبطة. أنا اللي مبسوطة إنها شايفاني؟ ولا انعكاسي هو اللي مبسوط إنه بيبصلي؟ العيون عيوني... والوش وشي... والابتسامة ابتسامتي... بس هل دي فعلاً أنا؟"

"قربت بوشي من المراية... بصيت في عيوني... حسّيت كأن حد جوّا المراية بيبص لجسمي بعيوني أنا... بس مش أنا ... نظرات وقحة.. إرتعبت... ولبست هدومي بسرعة ووقفت بعيد"

"وسمعت صوت... صوت واضح جوا دماغي"

"إرجعي... عايز أشوفك"

سكتت

نفسها انقطع

يديها ترتعشان .. بهدوء طلبت منها أن تكمل .. بينما كنت أسجل ملاحظاتي ..

"لما سمعت الصوت... حسّيت ببروده شديدة طالعة من المراية... بروده بدأت بأطرافي ثم بدأت البرودة تزحف حتي عمودي الفقري..."

سكتت لترتب كلامها و أكملت :

"يا دكتور... أنا طول عمري ببص في المرايات... بس عمري ما شفت في عيوني النظرة دي .. غير بعد ما دخلنا البيت الجديد"

سكتت .. فقمت من مكاني وجلبت لها كوب ماء كي تشرب .. ولكي تهدأ قليلاً ..

ثم بدأت انا الكلام بهدوء ..

" دعاء .. المرايات من قديم الازل و فكرة أن الإنسان يشوف نفسه و ينبهر بجماله لها أساطير كتير .. تعرفي أسطورة نرسيس؟؟"

أشارت برأسها بالنفي .. فتابعت : " دي أسطورة يونانيه قديمة لشاب إسمه نرسيس و كان وسيم بشكل لا يصدق .. وكان مغرور وكان محبوب و معشوق البنات بس هو لا.. مش فارق معاه أي حد .. المهم في يوم وهو بيتمشي في الغابه شاف بركة ماء صافية .. ركع علشان يشرب فشاف انعكاس وجهه على سطح المية .. ومش عارف بقي هل أول مره يشوف وجهه ولا الماء كان فيه حاجة .. الأسطورة ما وضحتش .. بس المهم إنه إنبهر بجمال صورته وعشقها لدرجة إنه مش قادر يبعد عينه عن صورته ... تخيلي ... لحد ما مات .. مات إزاى بقي ؟ الأسطورة ما قالتش .. بس يقال أنه تحول لزهرة النرسيس .. النرجس بلغتنا .. عرفتي بقي منين ظهر لفظ النرجسية ؟

كانت دعاء تستمع للقصة بتركيز شديد و عينيها متسعة ..
كأنها تحاول ربط ما يحدث معها بقصة نرسيس ..
أو وجدت بالفعل الربط !! لأنها بسرعة قالت :
" لا لا هو أكيد حصله زي ما بيحصل معايا .. أنا الى فاهمه حصل له إيه "
بلعت ريقها من الحماس و أكملت " أنا لسه هحكيلك إني تعودت أتكلم مع نفسي في المرايا و سميت صاحب النظرات المتحرشه ده (سلطان) .. وحاولت التعود على وجوده في غرفتي .. بل و بقيت لما أحس إني عاوزة أأذي نفسي أو أعاند مع أهلي أن أنده له بأسمه ... و كان بيحضر .. كنت على الفور بحس بالبرد الشديد في كل جسمي و نظراتي في المرايا بتتغير في ثواني .. كنت خلاص بعرفه لما يحضر" "و كان أوقات في الليل و قبل ما أنام كان بيحضر من نفسه .. بس كان بيشل جسمي .. مش عارفه أتحرك ولا أصرخ ولا أتكلم .. بيطبق على صدري و أنفاسي وأحس عمودي الفقري تجمد من البرد

ويخنقني .. الشلل ده كان ممكن يوصل لربع ساعة .. بعدها يتفك ويحل عني "

نظرت لعيون دعاء بثبات وببرود سألتها " طيب ولما إنتي كونتي صداقة معاه .. فين المشكلة ؟"

سكتت متردده بدأت تطقطق أصابعها وقالت " لأن حسيت إنه بيعتدي عليا .. مبقيش موضوع إعجاب وبس .. لحظات الشلل لما بدأت أستوعب بدأت أفهم إنها إعتداء وتحرش ... ولما واجهته وإعترضت ... إعترف لي إنه مغرم بيا و إني خلاص هبقي ملكه و مش هيسيبني تاني "

سألتها " بتتكلموا بقي و بيرد عليكي و كده ؟"

ردت " أيوة .. الحوار بينا كله بسمعه في دماغي ... بس حتي صوته مميز وكأنه بيتكلم تحت الميه"

وأكملت " فهمت منه إنه مكنش بيقدر يشوفنا لا هو ولا باقي جنسه ولا يعرفوا هيئتنا وان البشر بالنسبه لهم كلنا نفس الملامح .. وإن الوسيلة الوحيدة إن يشوفوا فيها ملامحنا هي عن طريق التسلل

لدماغنا ويشوفنا بعيونا وإن المرايا خلته ينبهر بيا و بجمالي لما شافني بعيوني ... "

كنت أسجل بسرعة كل ما تقول وهي تنظر إلى ما أكتب محاولة رصد ملاحظاتي .. فأكملت بصوت متردد " هو و قبيلته كانوا ساكنين المنطقة و إحنا البشر الى دخلاء عليهم ... أنا دلوقتي متأكده إن نرسيس ده لما راح الغابة كان دخيل عليهم في منطقتهم و إنهم شافوه و إنبهروا بجماله و بقي ملكهم زي ما سلطان عايزني أكون ملكه "

سكتت وبلعت ريقها .. وفي ضيق قالت " بابا وماما ما قدرتش أحكيلهم كل التفاصيل دي .. إنت كمان مكنتش هحكيلك غير بس إن المرايا سحراني وخلاص .. بس حكاية نرسيس دي خلتني أحس إن ممكن تفهمني أو تنقذني .. سلطان عايز يسيطر عليا .. يموتني .. معرفش هو عايز إيه "

سكتّ أفكر... ودماغي تلف ..

أنا أشتغلت على حالات كثيرة.. هلاوس، اضطرابات هوية، وسواس...

لكن اللي بتحكيه دعاء كان مختلف..

مش بس طريقة كلامها... ولا التفاصيل ...

لكن الخوف الحقيقي اللي في عينيها.. خوف صادق... خوف "شافت حاجة" حتي لو كان في خيالها ..

قُمت من مكاني... مسكت ريموت التكييف و فصلت التكيف ..

فشممت رائحة كرائحة صديء الحديد في الغرفة

أمسكت بزجاجة ماء لأشرب وأبتلع قصتها وأحاول ترتيب افكاري

وقلت لها بهدوء مصطنع:

"دعاء... إمتى آخر مرة ظهر فيها؟"

ردت بدون تردد وبعيون دامعة " حالاً لما قمت من مكانك "

توترت و حاولت إظهار تماسكي " اممم وعمل أيه سلطان ؟"

" ظهر في دماغي و حذرني أن أحاول الهروب أو طلب المساعدة وإلا هيإذيك ويإذيني "

حتي اللحظة كنت أحاول ان أشخص الموضوع نفسيًا ...هلاوس نوم .. شلل نوم .. اضطراب هوية إنفصامي ..أي حاجة ذات منطق ...

بينما أتفحص ملامحها وجدتها تنظر لي بثقة وسخرية وتحدٍ وتقول:

" أمال إنت حسيت إن الجو بقي برد مرة واحدة يعني يا دكتور ؟ وفصلت التكييف ليه !! .. مع إن إحنا في الصيف و في منتصف أغسطس "

ببرود لم أهتم لحديثها .. نعم بالفعل أنا فصلت التكيف لأني شعرت ببروده في أطرافي ..

سألتها بحذر : " سلطان ؟"

ضحكت .."ما تحاولش يا دكتور .. دعاء سحرتني بجمالها .. وهتفضل ملكي "

بهدوء سألته : " إنت إسمك الحقيقي إيه ؟"

سكتت لدقيقة كاملة .. ثم رفعت نظرها ببطء تجاهي – بعيون وقحة – وأجابت – أو أجاب – " سلطار"

نظرت لها بثبات بينما خفضت رأسها مع تثبّت عينيها الى عيوني في تحد وهي تبتسم أخبث ابتسامه رأيتها في حياتي فقلت أنا : " امممم سلطار وليس سلطان "

هنا جلست على مكتبي مسترخيًا ومتظاهرًا بالقوة قلت لها " شوفي يا دعاء .. أنا هكلمك بصراحة .. أنا محتار في حالتك .. هل ده وسواس جامد؟ .. مش متأكد لسه .. الأكيد أن لازم نعمل فحوصات على الدماغ .. ربما الى إنتي فيه ده ضلالات .. ولازم نمشي في طريق العلاج وتقتنعي علشان تساعديني و تساعدي نفسك .. تبقي فاهمة حالتك .. حتي لو بشكل مبدأي .. ممكن تكوني مش مقتنعة .. وممكن أكون أنا شخصيًا في حيرة .. بس أي كان .. هنمشي في الإجراءات العلاجية و هبلغ بابا و ماما إن العلاج هيحتاج وقت و استمرار .. "

إنتهيت من كلامي بينما هي هادئة تمامًا وتستمع إلى دون أي رد فعل ..

لكن تغيرت الابتسامة ..

إلى ابتسامة حسرة هذه المرة ..

ابتسامة شخص خسر أخر أمل .. وظلت صامتة

سألتها " عندك أي تعليق ؟"

لا رد .. وإن هزت كتفها بمعني – مش مهم – فضغطت الجرس للتمريض طلبًا لدخول الأهل .

شرحت شكوكي للأب والذي كان مستعداً للإستماع والفهم ..

الأم كانت متوترة جدًا لكن لا زالت تصر أن إبنتها محسودة ...

الأب وافقني أن نبدأ الفحوصات ..

طلبت منه عمل الأشعة و الفحوصات اللازمة في أقرب وقت على أن يعود لكي نبدأ رحلة العلاج المناسبة .. كل هذا بينما دعاء مثبتة نظرها صوب الأرض ودون إهتمام للكلام الدائر حولها .. كأنه لا يعنيها في شيء .

وقف الأب معلنًا نهاية الكشف وصافحني شاكرًا ..

الأم حضنت إبنتها و قبل أن ينصرفوا من العيادة ..

ناديت عليها " دعاء " ..

قمت من مكاني وذهبت لها مادد يدي كي أصافحها ...

كانت يديها كقطعة ثلج !!

كأنها كانت في الفريزر مثلًا !! ..

نظرت في عينيها ..

انصرفت... وتركت داخلي شعور مزمن بالذنب

ولم تعد من يومها قط ..

ومنذ ذلك اليوم، لم أعد أستطيع تفسير سبب البرودة التي شعرت بها، ولا سبب فصلي للتكييف في ذروة حر أغسطس.

لكن ما لم أجرؤ على الاعتراف به، حتى مع نفسي، أنني بدأت أتجنب الوقوف أمام المرايات..

ليس خوفًا.

بل لأنني في كل مرة أرفع عيني صدفة، أشعر بالبرودة ذاتها تزحف إلى أطرافي شخصيًا .

لن أنسي نظرات عيونها لي وهي مغادرة بينما تسحب يدها وتقول بصوت لا زال محفورًا في ذاكرتي..

"ستتذكرني دائمًا يا دكتور"

سينما
مايكرو

سينما مايكرو

في وسط الحيّ الشعبي الذي أسكنه، هناك بقعة صامتة أشبه بنقطةٍ محذوفةٍ من الجملة...

مبنى رمادي بواجهةٍ تشقّق طلاءُها، وعلى الإسمنت طبقاتٌ من الغبار كأن الزمن نفسه توقّف هنا.

هذه هي سِينما مايكرو[1] 105 شارع رجب السطوحي .

لا أحد يتكلم عنها، مهجورة منذ سنين طويلة لا أحد يلتفت إليها.

تمرّ بجانبها فتشعر بأن عينيك انزلقتا من فوقها دون قصد، كما لو أن الذاكرة تدربت طويلًا على محوها.

البوابة الرئيسية مسدودة بالطوب الأحمر، والباب الجانبي الخشبي للعاملين مكبّل بسلسلةٍ صدئةٍ وقفلٍ عتيق.

على الواجهة بوسترٌ باهت لفيلم قديم لفؤاد المهندس، يبتسم ابتسامةً كادت تسقط من الورق.

وتحت النافذة الصغيرة يافطة تقول: "الأرضُ ملكُ السيد/ حامد إبراهيم — وليست للبيع."

كان أطفال الحي، خمسة عشر طفلا تقريبًا، بين الثامنة والرابعة عشرة.

ضجيجهم كان يملأ الليل لسنوات.

ثم جاءت الشرطة ذات ليلة لفض الازعاج بعد شكاوي الاهالي ، وبعدها...

لم يبق شيء.

لم يختف الأطفال من الحي، بل من الليل نفسه.

صاروا يتبخرون بعد منتصف الليل ويعودون عند الشروق بوجوهٍ هادئة وضاحكة.

وحين تسألهم: "كنتم فين؟"

يبتسمون ويغيرون الموضوع.

لا أكاذيب... بل صمت متواطئ.

أنا لستُ غريبًا عن الحي، لكنني أيضًا لستُ منخرطًا فيه.

إسمي ليس مهمًا.

أعمل في مكانٍ بعيد، وأعود مساءً لأغفو على ضجيج السوق ورائحة الخبز والعرق والسجائر.

لكنّ سِنيما مايكرو بدأت تشغلُ مكانًا في ذهني يتّسع كل ليلة.

في مساء يوم شتوي بارد قررت مراقبة الباب الخشبي.

تسللتُ إلى زاويةٍ عند مخزن للكراتين، وأطفأت هاتفي.

دقّت الساعة الثانية عشرة.

الشارع يتثاءب،

مصابيح ضعيفة تتناوبُ الإحتضار.

ثم رأيتهم... خمسة، ثم سبعة، ثم أكتملوا.

لم يمشوا معًا بل تتابعوا كأنهم يتقطرون من حارةٍ خلفية.

وقف الأكبر بينهم عند الباب، ولم أرَ مفتاحًا في يده ولا سمعتُ صوت السلسلة الصدئة.

ومع ذلك، انفتح البابُ كما ينفتح فمُ شخصٍ نائم.

دخلوا واحدًا واحدًا، وإختفى آخرهم في الظلام.

حين وصلتُ أنا، كانت السنيما قد إبتلعتهم جميعًا داخلها.

بخفة ذهبت خلفهم .. هل أغلقوا الباب خلفهم ؟

أسندت كتفي إلى الباب ودفعته.

لم يتحرك.

ضغطت بأصابعي على الفاصل، فوجدته يستجيب، وكأنّ إعتراضه لم يكن إلا أدبًا.

انفتح على عتمةٍ برائحة عفنة.

وغبار، و رطوبة، ثمة فأر فر هاربًا بجوار قدمي ..

ثم لا صوت.

حتى دقات قلبي بدت وكأنها تتردد في مكانٍ آخر.

تلمستُ الحائط، مشيت خطوة، إثنتين، ثلاثًا.

لا أثر لأحد. لا همسات، لا حفيف.

واصلتُ السير ببطء، والظلام يتكثّف حولي كلما إبتعدتُ عن الباب.

بدا لي أنني أمشي في مكانٍ أكبر من حجمه، كأن الجدران تنسحب إلى الخلف، كأن القاعة تتسع دون منطق.

توقعتُ أن أسمع ضحكة طفل، وقع قدم، همسة... لكن لم يكن هناك سوى الصمت.

مددت يدي إلى جيبي، أخرجتُ هاتفي لأشعل الضوء.

الشاشة لم تستجب.

أعدت المحاولة.

لا شيء.

كأن البطارية ماتت مع أول خطوة في الداخل.

ارتجفت يدي، وقررت العودة.

إستدرت، فلم أجد الباب.

فقط جدار من الطوب الاحمر يسد الطريق للخروج.

وضعت كفي عليه، ملمسه بارد ورطب.

فجأةً، لمع في آخر القاعة خط ضوء رفيع.

لم يكن ضوءًا طبيعيًا، بل خيطًا أبيض متذبذبًا، كوميض بروجكتور قديم. انجذبت إليه رغم خوفي، حتى انفتح أمامي فضاء قاعة العرض

ذات مقاعد خشبية مصطفة في إنتظامٍ مطيع، وغبارٌ يلمع كذرات زجاج في الهواء.

الشاشة الضخمة عالقة على الجدار، لكنها لم تكن بيضاء... بل رمادية حيّة، تتحرك فوقها ظلال غير واضحة.

جلستُ خلف العمود الأخير، متشبثًا بالظلام، وعيناي تحدقان.

ظهر أول مشهد.. زقاق ضيق في الحي، نفس الزقاق الذي أمرّ به كل يوم، ثم لقطة لبائع الخبز يمد رغيفًا لشخصٍ ما خارج الكادر.

ثم تغيرت الصورة لوجوه سكان الحي المعتادة في الصباح كأن الفيلم يحكي قصة الحي اليومية.

قلبي انقبض.

الصورة تلاشت، وحل محلها مشهد آخر.. أنا جالس في مقعد مظلم، عيناي فارغتان، كأن الشاشة تعكس اللحظة التي أعيشها الآن.

أو ترحب بقدومي ؟!! ..

شهقت، وكأن الهواء انقطع فجأة.

التفت بعيني الى الصفوف الخشبية الأولى فوجدت الأطفال يجلسون أمام الشاشة في صمت مطلق وأعينهم مثبتة على الشاشة وأفواه منفرجة مذهولة .. لم يلتفتوا إلى و لا يبدو أنهم شعروا بوجودي أصلًا. إقتربت منهم أكثر.. ثم شعرت بعدم الإرتياح.

الفيلم لا يزال يعرض حياة الحي و بائع السمك "عادل شباره" وهو يضحك ويغمز لجارتنا " ياسمين " و هي تبتسم له .

فقررت الجلوس على أقرب كرسي وأتابع القصة.

في تلك اللحظة سمعت الهمس .. لم يأت من الأطفال ولا من الفيلم المعروض .. بل من كرسي في الصفوف الخلفية إذ يقول " ما تقعدش .. لو قعدت مش هتقوم .. إمشي"

دققت النظر لمصدر الصوت .. كان هناك ظلًا جالسًا لشخص لم ألحظه من قبل ..

ولكن في قرارة نفسي شعرت أن الجالس هو " حامد ابراهيم " نفسه .. لم أعرفه يومًا ولا أعرف حتي شكله أو صوته .. لكن هناك رسالة قوية إنبعثت داخل عقلي أنه هو.

بصوت هامس سألته " هو في إيه ؟ إيه بيحصل للعيال دي ؟ و مين بيعرض الفيلم ده ؟"

رد بصوت هامس " السنيما دى لعنة أنا أخطأت إني قبلت الصفقة دي .. " ..

سكت قليلاً و أكمل " إوعي تقعد .. لو قعدت مش هتقوم .. العيال دي بتخرج كل يوم من هنا ناسيين إنهم كانوا هنا أصلًا .. بس المكان في الحقيقة بيسيطر عليهم واحد واحد .. "

" كتير حاولت أحذرهم قبل كده ومسمعوش كلامي .. بتعرض لهم حياة الناس في الحي كأنها بتتلصص عليهم .. بتكذب .. تحكي لهم فضائح و أسرار لسكان الحارة و هي بتكذب .. لا تصدقها .. عيزاك تقعد .. لما تقعد هتسحبك .. وقتها إنت مش هترجع إنت تاني..."

كانت الصورة المعروضة حاليًا لعادل شباره و هو يتسلل الى داخل البيت خلف ياسمين ... الأطفال متسمرين أمام الشاشة .. بدون حركة .. أنا بالفعل أريد معرفة ما سيحدث .

" إفتكر إني حذرتك " ..

إلتفت للظل لكن وجدته قد إنصرف .. إختفي .

كانت الشاشة تزداد بريقًا، والمشاهد المعروضة تتحول من يوميات بريئة إلى أسرار مظلمة.

لم يكن ما يُعرض مجرد لقطات، بل فضائح وخطايا مخفية... خيانة، حقد، حسد، نزوات صغيرة لا يعلمها أحد.

شعرت أن السينما لا تكتفي بعرض الحياة... بل تلتقط قبحها لتقدمه للأطفال كوجبة مسمومة.

إقتربت أكثر من المقاعد... الأطفال لم يرمشوا، ابتسامات باهتة بدأت ترتسم على وجوههم، كأنهم يتغذون على ما يشاهدون.

فجأة تغير المشهد .. وجدت وجهي أنا و أنا خارج الى عملي في الصباح .. أغلقت باب الشقة و نزلت السلم .. ثم انفتح الباب المواجهة لبيتي وخرج جاري .. رجل في الخمسينات من العمر.. طرق باب بيتي بخفة و فتحت أمي له لينزلق بسرعة إلى الداخل..

شعرت بالدم يغلي في دماغي .. وسقط ذراعى بجواري في انهزام

لم أصرخ و لم أبك ... فقط شعرت أن كياني ذاته يتصدع وينكسر ... السنيما تلوث ذاكرتي .. تلوث مقدساتي .. تسلب روحي ..

ارتجفت قدماي.

حاولت النهوض لكن الكرسي الذي جلستُ عليه بدا أثقل من الحديد. أدركتُ متأخرًا أني وقعت في الفخ.

عاد الهمس، أقرب هذه المرة، من داخل أذني : "قلتلك ما تقعدش"

إلتفت حولي من جديد .. ظل " حامد ابراهيم " كان قريبا .. عاد ليقول " لسه قدامك فرصة تهرب .. لسه ما سحبتش وعيك بالكامل"

حاولت أن أرفع جسدي، لكن الشاشة إزدادت سطوعًا.

كأنها غاضبة ...

عرضت مشاهد لم أعرفها .. لقطات من مستقبلي.

وجهي شاحب، جسدي يذبل، وأنا جالس بين الأطفال الذين لم يكبروا يومًا.

عقلي بدأ يتهاوي .. ينهار .. ينسحب وعيي وكأن المكان يمتصه ببطء .. صرخت و أنا أرفع جسدي بكل ما أملك من قوة لكي أنهض

من على الكرسي .. الكرسي يتمسك بي بمخالب حديدية .. يجذبني كمغناطيس..

جريتُ عبر المقاعد في اتجاه الباب الخشبي ا الآّن صرت أراه ا دفعت الباب بكتفي، فإذا به ينفتح على الشارع المظلم.

إرتطمت بالأرض خارجًا، لهثتُ وأنا ألتفت ورائي... الباب مغلق، السلسلة مشدودة، لا أثر لأي شيء .. هرعت الى البيت مسرعًا وأغلقت الباب خلفي و ألقيت بجسدي على أقرب كرسي قبل أن أتهاوي تمامًا و أفقد الوعي.

مع شروق الشمس، إستعدت وعيي ا المفاجأة أني لازلت على الكرسي بداخل السنيما ... المكان فارغ تمامًا من أي بشر ... ضوء الشمس يدخل من كل مكان و الصالة واضحة تمامًا .

رائحة الرطوبة .. صوت العصافير التي وجدت المكان آّمن تمامًا لبناء الأعشاش ..

لا أثر لأي أحد ..

نهضت من الكرسي وأنا مذهول مارًا بين الصفوف في اتجاه الباب الخشبي ..

الباب الذي تفاجئت أنه كان مفتوحًا ..

خرجت في ضوء الشمس .. "عادل شباره" يجلس على الناصية أمام أسماكه ..

تابعت السير لأجد في طريقي "ياسمين" متجهة إلى عادل مبكرًا لشراء السمك !!

وقفت متشككًا أنظر إليهم .. "عادل " يضحك ويغمز لياسمين في مجون .. هي تبتسم له و تهمس إليه بشيء ما غير مسموع .

وبينما أراقبهم، مر مصطفى... أصغر أطفال المجموعة.

ابتسم في وجهي وقال "هتيجي تلعب معانا بكرة تاني؟"

تجمدت.

نظرت إلى انعكاسي في زجاج المحل المقابل... أنا مجرد طفل صغير، لا يتجاوز العاشرة...

طفل ينتظر قدوم الليل بشغف ليشاهد عرضًا جديدًا.

كوفيد 19

كوفيد 19

هل حقيقة أن حواسّ الإنسان المحدودة رحمة من الخالق كي تخفي عنا ما لا يجب أن نعرفه وما لا يحتمله عقلنا؟

كى نتجنب السقوط في الجنون.

لماذا تستطيع الكلاب أن ترى ما لا يراه الإنسان؟ أو تشم ما نعجز نحن عن إدراكه؟

هل تشعر الطيور بالزلازل قبل وقوعها و تري القطط في الظلام؟

وهل يصيح الديك لأنه يري ما لا نراه نحن؟

لم أكن أؤمن يومًا بأن حواس الإنسان ناقصة ...

كنت أراها كما هي: أدوات عملية، تكفي للعيش، لا أكثر ولا أقل ...

الآن فقط ... أفهم أن نقصها كان رحمة ...

بدأت المشكلة بعد إصابتي بالنسخة الأولى من فيروس كوفيد-19.

نعم، كورونا كما عرفناها شعبيًا؛ ذلك الفيروس الذي ظهر عام 2019، منطلقًا من الصين ليجتاح الكوكب بأكمله.

أُصبت به شخصيًا عام 2020، وهناك بدأت قصتي.

كانت الأعراض في بدايتها طبيعية .. ارتفاع في درجة الحرارة، صداع استمر لساعات، وشعور غامض بخللٍ يجتاح جسدي.

أعراضٌ مرّ بها معظم المصابين.

ثم فقدت حاسة الشم... ليومٍ واحد فقط، رغم أن الشائع كان فقدانها لعدة أيام أو حتى أسابيع.

لكن المشكلة الحقيقية لم تبدأ إلا مع عودة حاسة الشم.

عادت، نعم... ولكن بشكلٍ مشوّه.

لم أعد أحتمل روائح الفاكهة، أو العطور، أو البخور. صارت جميعها روائح شنيعة تُصيبني بالغثيان.

استمر هذا الاضطراب قرابة شهر، ثم بدأ يتلاشى تدريجيًا، مما أوحى لي أنني في طريق التعافي التام.

إلى أن لاحظت تغيرًا جديدًا.

صارت حاسة الشم لدي قوية على نحو غير مسبوق. أنا، الذي كنت أعاني قبل الكوفيد من ضعفٍ ملحوظ فيها، أصبحت أشم عرق

الناس من مسافات، عطورهم، أنفاسهم، حتى إن كان مصدر الرائحة خافتًا بالكاد يُلحظ.

بدأت أعاني بشدة، خصوصًا مع الروائح الكريهة، وظهرت بوادر أزمة حقيقية، لا سيما في الصيف.

صرت أتجنب الزحام، والمواصلات العامة، وكل مكان يجتمع فيه البشر.

خليط الروائح هناك كان أشبه بروائح صاعدة من الجحيم.

لم يعد الإشمئزاز محتملًا.

ثم... لم أعد أطيق حتى رائحة عرقي الشخصية.

كنت أهرع للاستحمام فور بدء التعرق، كأن جسدي خانني.

كل ما سبق لم يكن سوى تمهيد لبداية المرحلة الحقيقية.

في تلك الفترة، كنت قد أشتريت سيارة حديثة لافتة للنظر بإمكاناتها وشكلها الرياضي.

وفي أحد الأيام، مررت لإصطحاب صديقٍ لي لقضاء أمرٍ ما.

بمجرد أن ركب السيارة... شممت الرائحة.

لا، لم تكن رائحة جسده كما قد تتخيل.

كانت رائحة نفّاذة، خانقة.

هل تعرف رائحة إحتراق البلاستيك؟ تخيّل محاولة إطفائها بالبول.

ذلك الخليط المقرف كان أقرب وصف لما شممته.

كدت أفرغ معدتي من هولها.

لاحظ صديقي إمتقاع وجهي، فسأل بقلق:-

"مالك؟ أزمة قلبية ولا إيه؟"

سألته، وأنا أكاد أختنق:-

"إنت مش شامم الريحة دي؟"

نظر إلى بدهشة، حاول أن يشم، ثم قال:-

"مفيش حاجة ! بالعكس... السيارة رائحتها جديدة"

ثم ابتسم وأضاف:-

"دي بكام يا عبد الباسط ؟"

لم أُجب... وإن إزدادت الرائحة عفونة بعد جملته الأخيرة ..

كنت منشغلًا بمحاولة فهم كينونة تلك الرائحة، رغم أن الصورة لم تكن قد إكتملت بعد.

الغريب... أنه بمجرد نزوله من السيارة، بدأت الرائحة تختفي تدريجيًا.

كان ذلك مرعبًا.

ومغريًا.

مع التركيز، بدأت أستوعب الحقيقة العجيبة .. لم أكن أشم روائح عادية... بل روائح المشاعر.

جسد الإنسان خليط كيميائي من إفرازات هرمونية وغددية.

للكذب رائحة، وللغضب رائحة، وللخوف أيضًا.

ألهذا السبب يشم الكلب رائحة الخوف؟

لم أتخيل، كإنسان محدود الحواس، أن للمشاعر رائحة.

هل صرت أشم النفوس؟

كارثة.

جهلنا بما في النفوس رحمة من الله.

ضحكت من الفكرة .. هل صرت أشم مثل الكلاب؟ بدت سخيفة... لكنها منطقية حدّ الرعب.

بعض الناس تفوح منهم رائحة عفن حاد، رغم نظافتهم.

بعضهم روائحهم نفاذة، حارقة، كأنها تحذير.

وبعضهم...

قلة قليلة...

كانت رائحتهم محايدة.

باهتة.

شبه معدومة.

ارتحت لهم دون سبب.

أصبحت أميز كذب زملائي في العمل، وأشم غدر بائع الخضار وهو يدس الفاسد بين الجيد. لم أره، لكنني شممته.

كنت أخرج القطع الفاسدة من الميزان مبتسمًا بثقة، أشم إحراجه، ثم غضبه حين تركت مشترياتي وأنصرفت كإعتراض مني على خيانته ..

شعرت بمتعةٍ خبيثة.

كل إنسان صار يحمل لافتته فوق جلده، وأنا وحدي أقرأها.

الأسوأ...

أنني لم أستطع إيقاف ذلك.

ثم بدأت أتدرب.

أُخفي قدرتي وأتلذذ بالتلاعب.

إلى أن تغيّر كل شيء.

ظهرت روائح جديدة... غريبة... بلا تفسير.

روائح عطرية خفيفة، لكنها كريهة على نحوٍ غير محتمل.

تظهر وتختفي.

أحيانًا وأنا وحدي، وأحيانًا في عملي، في سيارتي، بل حتى أثناء نومي.

الأغرب... أنها كانت تختفي فور إستعاذتي بالله.

هنا بدأ الرعب.

أعدت التجربة عمدًا. تركت الروائح العطرية تحيط بي...

ثم استعذت. فهربت.

لم يكن الشك دافعي.

كان الغرور.

أردت أن أعرف: هل ما أشمه انعكاس لمشاعر البشر؟

أم روائح كائنات لم أُخلق لأدركها؟

في إحدى الليالي، حين ملأت الروائح العطرية الغرفة، لم استعذ.

جلست على السرير، أغمضت عيني، وتنفست ببطء.

لم أنطق.

لكن داخليًا... كنت أتحدّى.

إن كنتم موجودين...

إن كانت هذه رائحتكم....

إقتربوا.

لم يحدث شيء.

وهذا ما خدعني.

ثم... صار الهواء أثقل... مكتظًا... كأن الغرفة امتلأت بأجساد لا أراها.

تضاعفت الرائحة... لم تعد واحدة، بل طبقات تلتف حولي.

شعرت بها تمر قرب وجهي، خلف رأسي، عند عنقي.

لم أعد أشمها بأنفي فقط.

كانت تلمسني.

حاولت أن أستعيذ.

خرجت الكلمات ضعيفة... لا تخصّني.

لم تختفِ الرائحة.

بل إقتربت.

لم أكن أنا الذي يشمّهم.

هم... كانوا يشمّونني.

ومنذ تلك الليلة، لم تفارقني الروائح.

صارت أقرب من أي تصور.

أشعر بلمساتهم العطرية القذرة على جسدي.

صارت الرائحة جزءًا مني.

الآن... لا بد من تدخل من يفهم هذه الأمور.

لابد من تدخل الشيخ مبروك ..

كنت قد قمت بزيارة الشيخ مبروك من 5 سنوات ماضية حين كنت أعاني من ألم لا يطاق في فقراتي العنقية ..

ليس طبيبًا ولا يعرف شيئًا عن الطب ..

ولكنه بارع في علاج أي أمراض مزمنة ...

بارع في علاج من يعاني من أمراض نفسية ..

بارع في علاج المس و جلب الحبيب و كل هذا الهراء الذي لا بداية له ولا نهاية ..

والحقيقة أنه نجح – بشكل ما – في تخفيف آّلام رقبتي بالأعشاب مما جعله – ولو مؤقتًا – محل ثقة ..

سأذهب إلى الشيخ مبروك..

وهناك... بدأت النهاية ... دخلت عليه وأنا أحمل داخلي خوفًا لا يشبه الخوف، بل شيئًا أقرب إلى الاشمئزاز من نفسي.

لم ولن يتذكرني بالطبع ... فالرجل بيته مزدحم دائمًا بالمرضى و الزوار من كل حدب وصوب ... كان رجلًا في منتصف الخمسينيات،

يرتدي جلبابًا واسعًا، وجهه ساكن على نحوٍ مصطنع، وعيناه ثابتتان أكثر مما ينبغي. المظهر يوحي بالثقة، لكن أنفي قال غير ذلك.

قبل أن يتكلم، شممت.

كوكتيل كثيف من الروائح ... كذب قديم، جشع، حقد، وخيانة لا تزال دافئة.

لم تكن روائح طارئة، بل مستقرة... كأنها جزء من تكوينه.

قلت له، محاولًا ترتيب الكلمات:-

"حاسس إن في حاجة معايا... حاجة محيطة بيا"

ابتسم... ابتسامة شخص سمع القصة قبل أن تُروى.

قاطعني بثقة محفوظة:- "واضح إن في مسّ".

لم أجادل... لم أشرح... كنت أريد الخلاص، أيًّا كان ثمنه... وأريد أن أستمع لما عنده ..

طلب المال... ثم بدأ يتمتم بطلاسم غير مفهومة.

ومع أول جملة خرجت من فمه، اقتحم المكان رائحة جديدة.

رائحة قيء طازج، لزجة، لا تنتمي لأي شيء أعرفه.

تقلصت معدتي بعنف.

حاولت التماسك، لكن الرائحة كانت أقوى من أي إرادة.

انحنيت، وأفرغت معدتي على الأرض.

نظر لي الشيخ مبروك برضا.

كأن هذه اللحظة المنتظرة.

قال:- "كده... بدأ جسمك الخلاص"

لم أتخلص من شيء.

كاذب أشر ..

بعد نصف ساعة من الطقوس، أعلن إنتصاره.

قال إنني أصبحت في أمان، وأن ما حدث دليل على خروج الأذى.

غادرت المكان، لكن الرائحة لم تغادر.

في البداية كانت خافتة، كأنها ذكرى... ثم بدأت تتغلغل.

في ملابسي..

في عرقي..

في جلدي..

في شعري..

عشرة أيام مرّت كأنها عقوبة.

الرائحة لا تفارقني، تشتدّ كل صباح، وتنام معي كل ليلة.

فقدت تركيزي، انهارت تقاريري، ثم توقفت عن الذهاب إلى العمل قبل أن يقرروا هم الاستغناء عني.

انعزلت.

أغلقت باب الغرفة.

لم أعد أخرج إلا للاستحمام أو قضاء حاجتي، الطعام صار مستحيلًا.

رحلت زوجتي بالأطفال...

لم تشرح. لم تحتج.

كنت أعلم مسبقًا أنها سترحل ..

شممت رائحة غضبها ونواياها قبل قرارها ..

الحق يقال .. أنها الوحيدة التي كنت أشم رائحة صدقها ..

صدق حقيقي وخوف ..

المسكينة لم تحتمل ..

أو ربما ذهبت لتبحث عن نجدة ..

هل لعنني الرجل؟ هل إستدعى شيئًا لم يكن يجب إستدعاؤه؟

أم أنني إقتربت أكثر مما ينبغي من بابٍ لا يُفتح؟

بدأ جسدي يهرب من الرائحة بالتثاؤب المستمر، ثم بالإرهاق، ثم بالغياب.

ساعات لا أعلم هل كنت نائمًا أم غائبًا.

حين نظرت في المرآة، لم أعرف الوجه.

لون أغمق.

عينان جاحظتان.

فك بارز.

شعر طويل غير مهذب.

هل هذا هو معنى الجنون؟

وقفت أمام المرآة طويلًا...

نظراتي.. نظرات شفقة على حالي.

لم يخرجني من هذا المأزق سوى زوجتي العزيزة وإخوتها وأهلها حين اقتحموا البيت والغرفة وأخذوني غصبًا إلى مصحة عقلية بعد أن ظنوا أنني فقدت عقلي... وهم محقون بالمناسبة.

في المستشفى، ظننت أن الروائح ستهدأ، لكن الكارثة كانت أعمق.

المكان يعجّ برائحة" الأدوية المهدئة" ..

تلك الرائحة التي يحسبها الناس نظافة ، لكنني أشمها كغلافٍ بلاستيكي سميك يحاول خنق الأرواح الهائمة هنا.

المشكلة الحقيقية لم تكن في الجدران، بل في الطبيب الذي يعالجني.

في كل صباح، يدخل غرفتي بابتسامة باهتة، يسألني عن أحوالي ويطلب مني أن أصف له "الهلاوس الشمية" كما يسميها.

وبمجرد أن يفتح فمه، تقتحمني رائحة"السرور المتعفن"..

الطبيب لا يريد علاجي، إنه يستمتع بمراقبة إنهياري.. يشم فيّ "مادة علمية" دسمة لمؤتمراته القادمة.

أدركتُ الآن أن المصحة ليست مكانًا للعلاج، بل هي"وليمة روائح"..

أجلس في زاويتي، أراقب الوجوه، وأشمّ قصصهم التي يحاولون إخفاءها تحت جلودهم. هذا قتل زوجته، وتلك خانت أمانتها.. الكل يفوح، والكل يظن أنه صامت..

هل ما أشمه حقيقي أم أن المرض حوّلني إلى شخص يرى الشر في الجميع؟

لم أعد أثق في حواسي ..

الآن، وأنا أكتب هذه الكلمات ، أشعر بشيءٍ جديد..

لم يعد أنفي هو الذي يشم.. بل بدأ جلدي يتشرب الروائح..

أصبحتُ أشمّ "نهايتي"..

رائحة لا وصف لها ..

رائحة لا تذهب مع الاستحمام ابدًا..

نظرتُ في مرآة الحمام الصغيرة اليوم..

أنا لا أتعافى.. أنا أنتهي .

أتحول إلى "الرائحة المطلقة" التي ستملأ ردهات هذه المصحة للأبد..

"لقد غاب عبد الباسط داخل أنفه.. ولم يعد"

بذور

بذور

من المؤكد أن أقسى المآسي ليست تلك التي نرى فيها من نحب يتألمون أمام أعيننا عاجزين عن فعل أي شيء.

لكن المأساة التي تفوق كل حدود الاحتمال هي حين لا يدركون هم أنفسهم أنهم يتألمون..

كانت البداية في بيت الحج سليم الغامري..

الحجة كريمة... أرملة 77 عامًا وتعيش مع ابنتها ليلى..

ليلى مطلقة، تعمل ممرضة في مستوصف القرية، وتتولى رعاية أمها المسنة وولديها الصغيرين.

على الرغم من تقدم العمر، ظلت الحجة كريمة متمسكة بعاداتها القديمة..

كانت تذهب إلى السوق القريب بنفسها، وتساعد ابنتها في إعداد الطعام، وكأن الزمن لم ينجح في إقناعها بالتوقف عن الحركة.

لكن للسن قوانينه القاسية..

فلم تعد قادرة على الوقوف طويلًا، أو صعود السلم بسهولة، ومع ذلك أصرت على أن تظل جزءًا من تفاصيل البيت اليومية.

بدأت المأساة في ليلة شتوية خانقة من ليالي فبراير 2002..

كان الهواء ثقيلًا، كأن البرودة لا تأتي من الخارج فقط، بل من داخل الجدران نفسها.

ارتفعت درجة حرارة الحجة كريمة فجأة دون سبب واضح.

حاولت ليلى — بخبرتها الطبية — أن تخفض الحرارة..

بدأت بالكمادات الباردة، ثم بخافضات الحرارة..

لكن ساعات مرت، والحمى تتأرجح بين الارتفاع والانخفاض فوق جسد الأم المسجاة على السرير.

ثم بدأت الرجفة.

في البداية كانت ارتعاشة خفيفة..

ثم تحول جسدها إلى كتلة من التشنجات العنيفة.

كانت الأم تتألم بصمت، غارقة في فقدان وعي شبه كامل.

ظنت ليلى أنها أنفلونزا حادة يمكن السيطرة عليها..

لكن بعد منتصف الليل، بدأت الحجة كريمة تنتفض بعنف..

وتدفقت الرغوة من فمها.

شعرت ليلى بأن الأمور خرجت تمامًا عن سيطرتها.

حاولت الاتصال بالطبيب المناوب في المستوصف... ولكن دون رد ..

كما كان هاتف أخيها محمد مغلقًا.

أيقظت ابنها سعيد سريعًا كي يأتي لمساعدتها.

عادت ليلى مسرعة إلى أمها..

لتجدها جالسة على السرير في هدوء تام.

لم تعد ترتجف..

ولا تتألم..

وكأن العاصفة لم تمر من هنا يومًا.

سألتها ليلى بحذر:

"أمي... أنتِ كويسة؟"

هزت رأسها قائلة:

"كويسة.."

كانت حرارة جسدها طبيعية.

نهضت الأم من السرير وخرجت من الغرفة... وتبعتها ليلى بقلق..

وقفت الحجة كريمة في منتصف المنزل..

تنظر يمينًا ويسارًا، كأنها تتعرف على المكان لأول مرة.

ثم دخلت الحمام.

رن الهاتف... كان محمد يتصل.

حكت له ليلى ما حدث، وأن الأزمة تبدو أنها انتهت.

نامت الأم بهدوء بعد ذلك..

وجلست ليلى بجوارها حتى سمعت أنفاسها المنتظمة، قبلت رأس أمها ... ثم نامت هي الأخرى.

في صباح اليوم التالي..

استيقظت ليلى متأخرة بعد سهرة الأمس.

وخرجت سريعًا لتطمئن على أمها وتعد الطعام.

وجدت الحجة كريمة جالسة على السفرة... صامتة تمامًا..

"أمي... إنتِ عاملة إيه النهارده؟"

هزت رأسها دون رد ..

لكن نظرة سريعة جعلت ليلى تتوقف..

فقد لاحظت أن أصابع يد أمها تبدو غريبة.

جلست بجوارها وأمسكت معصمها..

لكن الأم سحبت يدها بسرعة محاولة إخفاءها.

قالت ليلى في توجس:

"ثواني بس يا أمي.."

وسحبت يدها بقوة، دون مقاومة من الأم هذه المرة.

كانت أصابع اليد متشققة من الأعلى..

كأنها قُطعت بسكين بشكل عشوائي..

جروح غريبة بلا نزيف.

رفعت ليلى يد أمها لتراها بوضوح أكبر..

لكن ما رأته جعل الهواء ينسحب من صدرها.

لم يكن هناك لحم..

ولا دم..

فقط صفوف منتظمة من رؤوس بيضاء صغيرة، مصطفة تحت الجلد بشكل هندسي دقيق.

تشبه حقلًا من زهور بيضاء ناعمة.

لكنها لم تكن زهورًا.

كان لكل رأس طرف شفاف رفيع..

يتحرك ببطء، كأنه يتنفس الضوء.

حبست ليلى أنفاسها..

فلم تكن الرؤوس عشوائية..

بل مصطفة في نظام دقيق...

همست ليلى بصوت مقهور و الدموع تتجمع في عينيها: "إيه ده يا أمي؟"

نظرت الحجة كريمة إلى يدها ثم إلى ابنتها وقالت بهدوء: "مفيش حاجة... أنا كويسة."

حاولت ليلى فتح الجرح أكثر..

شعرت أن الرؤوس تمتد أسفل الجلد إلى ما لا نهاية.

في هلع ركضت وأحضرت ملقاطًا..

وما إن لمست إحدى الرؤوس حتى تطايرت في الهواء..

لكنها سرعان ما استبدلت برؤوس أخرى تعيد ترتيب الصفوف.

كان المشهد رهيبًا ...

بسرعة أمسكت ليلى الهاتف وأخبرت أخاها بما يحدث وهي تبكي وتلطم على خديها..

ووعدها أنه سيأتي فورًا للذهاب إلى المستشفى.

في تلك اللحظة..

تذكرت ليلى ما حدث قبل أسبوع.

حين صعدت الحجة كريمة إلى سطح المنزل لترعى الدجاج..

كان هناك برج اتصالات أعلى المنزل..

ووجدت جثة ديك أسود عالقة في قمته.

كانت رأس الديك مفتوحة من الداخل...

طلبت من سعيد الصعود لإنزال الجثة

وعندما سقطت الجثة على الأرض...

تطايرت نفس الرؤوس البيضاء الصغيرة في الهواء.

ضحكت الحجة كريمة يومها قائلة:

"دي حشرات... الديك ده مات وعفن."

لكن ليلى الآن ترى نفس الحقل مزروعًا داخل يد أمها.

هرعت إلى غرفتها لتبديل ملابسها..

لكن عندما خرجت... لم تجد أمها داخل المنزل.

كان الباب مفتوحًا.

نزلت إلى الشارع في هلع..

لتقابل أخاها محمد الذي أكد أنه لم يري أمه خارجه من البيت ...

كادوا أن يفترقوا في الشوارع بحثًا عنها ولكن جارتهم أخبرتهم من الشرفة أنها تري أمهم على سطح المنزل .

صعد محمد مسرعًا..

وحين وصل... رأى الحجة كريمة عند أعلى نقطة في البرج .. تشبثت بالحديد بكل قوتها...

الهواء يحرّك ملابسها ببطء..

نظرت إليهم.

لم يكن في عينيها بياض فقط...

بل فراغ.

كأن شيئًا ما ينظر من خلفهما.

فتحت فمها.

خرج لسانها ببطء شديد...

أطول مما يجب.

أبيض... خشن... كأنه مغطى بطبقة دقيقة من الحبيبات..

ثم ساد صمت ثقيل.

صمت جعل محمد يتمنى لو تصرخ.

لكنها لم تصرخ.

سمعوا فقط...

صوتًا خافتًا... يشبه فرقعة بذور صغيرة تحت ضغط ..

ثم انفجر جانب رأسها.

ليس انفجارًا صاخبًا...بل تفتحًا.

كأن شيئًا ما كان ينتظر اللحظة المناسبة ليخرج.

وانطلقت آلاف الرؤوس البيضاء في الهواء...

لكن الغريب...

أنها لم تسقط.

ظلت معلقة...

كانت نهاية الحجة كريمة مأساوية.. وأثارت الهلع في القرية كلها ...

ولم يكن سبب الوفاة واضحًا..

فاحتجزت المصحة الجثة لعرضها على الطب الشرعي..

وأبلغت وزارة الصحة لاحتمال وجود عدوى غامضة..

ستبقى هذه الذكرى محفورة في ذهن ليلى..لن تنساها أبدًا..

في الليلة نفسها.. بدأ محمد يشعر بالحمى فقط.

كان يشعر بأن جلده مشدود.

كأنه أضيق قليلًا مما يجب....

حك أصابعه فتشققت دون نزيف ...

وقف أمام المرآة يتفحص وجهه.

لم يجد شيئًا... تنفس بارتياح .. ثم رمش.

ولجزء من الثانية رأى تحت جلده شيئًا يتحرك.

شيئًا صغيرًا جدًا...

يرتب نفسه في صفوف دقيقة.

أغلق عينيه بقوة عندما فتحهما لم يكن هناك شيء.

لكن منذ تلك اللحظة لم يعد متأكدًا..

إن كان ما يراه بعينيه هو كل ما يوجد فعلًا.

أم أنه بدأ يفقد الوعي لصالح وعي أخر دخيل ؟

غرفة
105
Room 105

غرفة 105

" ربع ساعة وهتدخلي العمليات يا إيمان .. إقرأي الكرسي وتوكلي على الله.. وربنا الحافظ"

كان هذا كلام إبراهيم وهو ممسك بيد زوجته إيمان ومتجنب النظر في عينيها كي لا تري الخوف فيه ... هو بالأساس مهزوز جدًا و مرتعب ..

إيمان مصابة بورم في المخ في مكان حساس جدًا و احتمالات فشل العملية كبيرة

كانت مستسلمة لقدرها ..

وكانت العملية بالنسبة لها خلاص من عذاب الألم إما بالشفاء أو بالموت والحالتين راحة..

مرت الدقائق سريعا وأخذوا إيمان بالسرير المتحرك إلى غرفة العمليات ...

د. محمد دسوقي أشهر طبيب جراحات أورام المخ في مصر كان في انتظارها ...

بجواره طاقم تمريض وطبيب التخدير ..

لفت نظرها إحدي الممرضات ذات شعر أسود طويل لامع تقف في زاوية غرفة العمليات وسط الظلام وحدها ..

تساءلت في نفسها .. أليس من المفترض أن يقوم طاقم التمريض بتغطية شعرهم؟؟

ابتسم الطبيب في استقبالها وقال كلام سريعًا ما معناه أنها ستكون "زي الفل" وإن شاء الله تقومي بالسلامة لأولادك وبيتك وربت على كف يدها ..

طبيب التخدير وضح لها تفاصيل التخدير وأعطاها إبرة وسألها بعض الأسئلة ...

و وسط حديثه معاها كانت إيمان قد دخلت الغيبوبة بالفعل ولم تشعر بالدنيا...

......

بدأت إيمان تفوق بالتدريج .. كانت الرؤية ضبابية ..

وفي سريرها في غرفة المستشفى وحدها..

لا لم تكن وحدها ..

هناك صوت لطفل مولود يبكي..!!

كانت متوقعة أن تجد ألما شديدًا في دماغها أو ضمادات على رأسها ..

.. لكن غالبًا دماغها سليمة

ابتسمت وحمدت الله ..

الحمدلله أنها لا تزال على قيد الحياة بالأساس ...

حاولت تفقد ملامح الغرفة.. غرفة مريحة جدًا لكن ليست نفس الغرفة التي كانت بها

على باب الغرفة كتب رقم 105 ... وأين إبراهيم زوجها ؟!

حاولت أن تتحرك لكن وجدت ألما شديدًا في بطنها جعلها تتوجع فنامت من جديد مكانها ..

في نفس اللحظة دخلت ممرضة شقراء إلى الغرفة ..

ومن دون كلام ابتسمت وقالت بالإنجليزية

" Congratulation Marlene"

إيمان بحكم أنها ليسانس آداب إنجليزي كانت مستوعبة أن هذه الأنجليزية ..

لكن من أنت؟..

"فين إبراهيم ؟!"

نظرت الممرضة بدهشة شديدة جدًا!!

وخرجت ... دقيقة ودخل طبيب خواجة ومعه شاب أشقر بذراع موشوم..

الطبيب يحدثها بالإنجليزية ويقول "مبروك ... حاسة إيه؟! "

إيمان شعرت بقلق ..

"إنتوا مين ؟! وفي إيه؟ وفين إبراهيم ؟ وفين دكتور دسوقي ؟!"

الشاب الأشقر كان واقفا كالمجنون .. مين ده؟ هيئته ليست كهيئة طاقم المستشفي في الأساس .. ويرتدي ملابس كاجوال

نظر له الطبيب وسأله وقال ما معناه..

"هل لمارلين جذور شرق اوسطية ؟ تبدو كأنها تتحدث التركية أو العربية ؟!"

كل هذا جعل إيمان تبدأ بالتركيز..

أعادت النظر إلى تفاصيل الغرفة بتمعن أكثر..

هذا مكان مختلف تمامًا عن ما كانت فيه ..

ومن هذا الطبيب الخواجة ؟

رجل كبير وبنظارة وشعره أبيض كالثلج ..

ومن مارلين ؟؟

وقبل أن تستوعب دخلت الممرضة بطفل رضيع ورمته في حضنها وهي تقول لها أن الطفل لابد أن يرضع الآن !!

في هذه اللحظة انهارت إيمان وهي تصرخ..."إنتوا ميييين؟"

وهي تبكي " يا إبراهيييييم" ..

الطبيب والأشقر - عرفت أن إسمه ماثيو – والممرضة جميعهم إرتبكوا وأخدوا المولود بعيدًا عنها بسرعة والطبيب يقول لماثيو أنه لابد من عمل الفحوصات .. لأن حالتها غير طبيعية ؟!

بالإضافة أنهم لا يفهمون منها حرفـًا ؟!

ماثيو يقول متعجبًا أنه لم يكن يعلم أن زوجته تتحدث لغات أخري غير الإنجليزية ؟!

إيمان تكاد تصاب بالجنون وهي تصرخ وتشير له بعصبية "مراتك مين؟!"

أيقنت إيمان في داخلها أنها حتما أصيبت بالجنون بعد العملية وأن ما يحدث الآن هو آثار ضرر ما أصاب المخ ..

أو أنها لا تزال تحلم وفي غيبوبة ... غمرها الرعب والخوف ..

دقيقة ودخل طبيب أخر ذو ملامح هندية واضحة ..

أسمر وشعره ناعم أسود وأيضا يتحدث الإنجليزية بلكنة هندية واضحة ..

أخبرها أنه طبيب نفسي وإسمه سارنيفاز وأنه جاء فقط ليطمئن عليها وأنه تم استدعاءه من الطبيب ستيف لشعوره البالغ بالقلق عليها؟!

وكان أول طلب أن سألها عن إسمها

"إيمان" ردت فورًا ..

وهو ينظر لها بتركيز ويحاول أن يلتقط أي إشارة ..

وسألها من جديد : "عندك كام سنة ؟"..

"٣٥ سنة "

سكوت من جديد .. الطبيب ينظر لها بعيون فاحصة وتركيز ثم سأل : "إسم زوجك ؟"

ردت بثبات " إبراهيم "

بدأ الهندي يكتب ما تقوله .. ثم سأل .." ساكنة فين؟؟"

ردت " في القاهرة.. في إمبابه"

بعد لحظة تفكير .. طلب الهندي من كل الحاضرين في الغرفة الخروج

والإنفراد بالمريضة ..

بالفعل نفذوا كلامه بهدوء .. نظر الطبيب لإيمان وسألها

"أوك يا إيمان ..تاريخ النهارده كام؟"

سكتت قليلًا لتستجلب الذاكرة وتفكر .. وقالت " تقريبًا ١٤ مارس"

ضيق الدكتور عينيه وسألها ...

" 14 مارس سنة كام ؟؟ " بدون تردد جاوبت " ٢٠٢٥ "

إندهش الهندي وقال " هل تعلمين أن هذه المعلومة الوحيدة الصحيحة في كل كلامك ؟! "

ظلت إيمان ساكنة..

عاد يسألها " إنتي عارفة إنتي في المستشفى ليه؟"

ردت إيمان متوترة " أنا كنت داخله العمليات عشان ورم في المخ ..."

بدأ الهندي يقترب منها ويسألها " إوصفي زوجك شكله إيه؟! "

" طويل وأسمر وله لحية خفيفة .. شعره أسود "..

وسكتت لأنها لا تعرف كيف تصف الشعر الأكرت الخشن بالإنجليزية

كان الهندي يكتب وراءها بسرعة...

5 دقائق مرت والهندي صامت ينظر إلى إيمان ويفكر..

ثم قام و قال لها أن تنتظر لثواني وسيعود فورًا ..

خرج من الغرفة .. الألم في بطن إيمان كان شديدًا ..

رفعت الغطاء لتري سبب الألم ..

وجدت القطن و بلاستر الجراحة على بطنها...

كأن العملية في بطنها!! ..

عاد الطبيب الهندي ومعه مرآة !! ...

وضعها أمامها وهو يراقبها..

نظرت إيمان وشهقت وهي تتحسس وجهها .. "مين دي ؟!"

ملامح لفتاة بيضاء عيونها زرقاء وشقراء .. "مين دي؟!!!"

تحسست وجهها من جديد لتتاكد أنها هي .. شدت شعرها ..

ولم تتحمل أكثر وبدأت تصرخ ...

بسرعة وضع الهندي المرآة جانبًا ونادي التمريض كي يعطوها المهديء ..

بدأ جسم إيمان يرتخي وجلس الطبيب الهندي جانبها مرة أخري ..

أخذ نفسًا عميقًا وبدأ بهدوء يتكلم " مارلين .. الحالة التي أراها أمامي ليست حالة إرتباك من أثر التخدير ولا أي حالة نفسية مفهومة

ولا لها تفسير .. هناك شيء ما انا غير قادر على استيعابه يا مارلين؟"

..

في عصبية ردت إيمان:

" إسمي إيمان .. ومش فاهمة منك حاجة "

ابتسم الهندي وقال :

" أنا كمان لا زلت غير فاهم لكن أعتقد أنك حاله فريدة جدًا من نوعك ولابد أن يتم دراستك بشكل جيد .. هل لكي ذاكرة قديمة ؟ هل هناك تبديل غير مفهوم قد حدث ؟؟ حقيقة لا أعلم ... أنا همنع عنك أي زيارات حاليًا وستأخذين المهديء حتي تنامي .. إنتي عارفه إنتي فين؟"

ظلت إيمان صامتة ومنتظرة الإجابة ... أكمل هو كلامه وقال:

"إنتي في مستشفى في ولاية كارولينا الشمالية .. وماثيو زوجك وأنتي مارلين و كنتي تقومين بإجراء عملية ولادة لطفل ذكر .. أراهنك أنك تسمعي الكلام هذا لأول مره ..."

سكوت تام وهو ينظر لها بثبات

" لو صح هزي رأسك"

هزت إيمان رأسها برعب وهي تبكي ..

تبكي بحرقة ...

أخرج الطبيب الهندي من جيبه إبرة وغرسها في وريد ذراعها وأفرغ ما فيها وقال" هتنامي وتسترخي .. و عندما تستيقظي سنعاود عمل الفحوصات لنفهم أكثر"

وأنسحب وعي إيمان من الدنيا في لحظة ...

..

بدأ عقل إيمان يستوعب بالتدريج أنه يعود لأرض الواقع ..

تسمع صوت بكاء لشخص ما ..

ثم شعرت بشخص يقبل يدها بدموع ويقول " الحمدلله يارب ... الحمدلله"

نظرت بطرف عينيها والصداع في رأسها رهيب .. وجدت إبراهيم !!..

ابتسمت وبكت .. وقالت "إنت إبراهيم صح؟!"

" أيوه يا حبيبتي حمدلله على سلامتك " ..

سألته بصوت ضعيف " إبراهيم هو أنا وِلدت ؟"

إبراهيم ينظر إليها بعيون شفقة وصمت ..

سألته من جديد بإلحاح عصبي " أنا دخلت العمليات ليه ؟ "..

صمت .. ولكن ظل حاضن يديها ويقول " الحمدلله إنك قمتي بالسلامة .. أنا قلت خلاص هتروحي مني"

في ضيق عادت إيمان تسأله "يا إبراهيم.. أنا وِلدت؟!"

" وِلدت إيه بس يا حبيبتي ؟ إنتي التخدير لسه مأثر فيكي"

" أنا مصدعه جدًا ..."

دخل الطبيب دسوقي وقال

" حمدالله على سلامتك يا مدام .. هيبقي في شوية صداع وهيقل بالتدريج.. وهنمشي مع المسكنات فترة وهنأخذ العلاج الكيماوي بعد كده .. هشرح كل حاجة بالتفصيل بعدين .. المهم إنك بخير"

" مش مهم " قالتها إيمان ..

رفعت يدها لتمسح دموعها عن وجهها .. لمحت سوار بلاستيكي يحيط يدها لونه أخضر مكتوب عليه بالإنجليزية ..

نظرت بتمعن ... مكتوب عليه " المريضة مارلين .. غرفة 105 "

على الفور نظرت إلى باب غرفتها المفتوحة ...

لا يوجد أي أرقام على الباب ... ولكن .

لمحت ممرضة ذات شعر أسود طويل لامع تعبر من أمام الغرفة وهي تحمل طفلاً رضيعـًا .. توقفت أمام الغرفة للحظات .. نظرت إلى إيمان لثواني ...

ثم نظرت للطفل ..

و أنصرفت ...

مولد
سيدي البسيط

مولد سيدي البسيط

بدأت القصة كفضول للصوفية .

كنت أزور الموالد كهاوي مراقبة، أدوّن بعد كل زيارة خواطري عن الروحانيات والعشوائية، عن القداسة والإبتذال.

لكن ما لم أكن أعرفه ، أن احدى هذه الزيارات ستوقظ شيئًا قديمًا... شيئًا نسيته منذ زمن بعيد.

كنت أحب مشاهدة الموالد و زيارة الأضرحة .. وأشعر في بعض الأحيان بالروحانيات وأوقات أخري بالجنون وشعوذة.

زرت مولد السيد البدوي ومولد الإمام الحسين و المرسي أبو العباس والدسوقي وغيرهم .

لففت جميع المحافظات والقري .. ضواحي القاهرة و الإسكندرية و الزقازيق وميت غمر و كفر شديد ...

ساعات أقضيها وسطهم في استمتاع ومن ثم أعود من جديد لحياتي الروتينية..

وفي يوم صيفي عام 2023 انتقلت للعمل في مشروع في محافظة بني سويف .

شهور مرت وسط الأهالي هناك .. حياة بسيطة.. بعيدة عن زحام القاهرة ..

حتي جاء أحد العمال طالبًا أجازة ليوم والسبب "مولد سيدي البسيط" !

أنا لا أمانع أن يأخذ العامل الأجازة التي يرغب بها لكن بعد أن يروي فضولي أولاً..

مين سيدي البسيط ؟؟؟

ببساطة .. القصة أن هذا المولد يقام كل ٥ سنوات في هذه القرية النائية ..

قرية الباسوط ..

اسم القرية الغريب لفت نظري منذ أول يوم وإن لم أعره أي اهتمام ..

وشرح لي أن غالبًا اسم القرية مرتبط بإسم سيدي البسيط ..

وأنه – كالعادة – ولي من أولياء الله الصالحين ..

وأنه لم يكن بشريًا.

سألته : "ملاك يعني؟"

رد ببساطة : "لا أعلم".

"وهل هنالك طقوس معينة ؟"

قال " لا يحضرها أحد من أهل القرية"

سألته متعجبًا : " أمال عايز أجازة ليه؟ "

رد بكل بساطة : "السبب أنه ممنوع في هذا اليوم على أهل القرية الخروج من البيت.. ثم يتوالي أتباعه و مريديه من كل مصر متلثمين بزيارة قبره .. وبعد انتهاء الزيارة و المراسم.. يقومون بترك الموسم "

سألته متعجبًا : " ماذا تعني بالموسم؟"

" الأكل والمال.. يتركونه أمام باب كل بيت من بيوت القرية هدية للأهالي على حسن الضيافة و من ثم يقومون بمغادرة القرية في اليوم التالي صباحًا".

ثم أكمل متحمسًا "في الحقيقة .. في هذا اليوم يعم الخير على كل سكان القرية "..

استفز فضولي جدًا .. وطبعًا بحكم خبرتي في هذه الأمور ومن كثر ما زرت هذه الموالد ..لم أجد تفسيرًا أو سببًا أن يكون الزوار ملثمين.!

هل هم من المشاهير والغير راغبين أن يعرف شخصيتهم أحد؟

الوسط الفني والسياسي مليء بالصوفية بشكل عام

لم أنتظر أكثر

وقررت ..

وأخذت قراري بزيارة سيدي البسيط ..

وفي اليوم الموعود قمت انا الآخر بعمل أجازة واتجهت لقرية الباسوط

ومن قبل أن أصل الى القرية بمسافة كيلو .. وقف الباص رافضًا أن يكمل الى داخل القرية وقال السائق :" ده أخرنا النهارده يا جماعة .. القرية اليوم ليست لنا "

لاحظت أفواج الملثمين من الرجال والنساء في اتجاهم للقرية سيرًا على الأقدام .

كنت قد توقعت هذا السيناريو و أعددت عدتي ..

وأخفيت وجهي تمامًا تاركًا فقط عيوني ..

وبدأت السير الى القرية مراقبًا الأجواء في فضول جم ..

كان بعضهم يسير حاملاً أعلامًا صفراء ..

البعض يسير مناديًا بصوت عالي "يا بسيط .. يا بسيط .. خد بإيدنا للطريق".

"يا بسيط يا بسيط .. ارجع تاني واستفيق"

الجميل أن جميعهم يحملون المتاع الثقيل ..

المتاع المحمل بالأكل و المال و الهدايا يوزعونها بإنتظام وبسخاء أمام بيوت الأهالي بالفعل ..

الكثير من المال في الحقيقة...

الأجمل عدم وجود اللصوص أو الطماعين ..

التوزيع يتم في تناغم وسلام مثير للدهشة..

حتي الأهالي لم يقم أي منهم بفتح باب بيته ..

التزام تام أن اليوم هو للزوار فقط

حتي ينصرفوا ...

مشيت معهم ولاحظت أن الجمع يسير في اتجاه الجبل ..

بالتأكيد هذا اتجاه المقام .. الأجواء كانت غريبة وحماسية ..

والجو حار و مترب ..

بعض الملثمين راكبين الفرس ..

والكل متجه للجبل ..

قدرت الأعداد أنها قد تصل إلى 500 رجل و سيدة ..

بدأنا الوصول لأطراف القرية وبداية الجبل ..

لاحظت صخرة كبيرة مرفوع عليها نفس الأعلام الصفراء و لافته كبيرة "للأمام يا بسيط"

والناس تسير في انتظام الى ما خلف الصخرة ...

وحين وصلت خلف الصخرة وجدت الكهف ...

يبدو أن البسيط مدفون في كهف ..

دخلت معهم الكهف وأنا أشعر بالحماس للأجواء و الأغاني التي يغنونها ..

ورغم هذا لاحظت أنه لا حوار يدور بينهم وبين بعضهم ..

لا حديث بينهم ..

كلهم إما ساكتين وإما يغنون ...

الكهف من الداخل مضاء باستخدام المشاعل ...

نور اللهب مع ظلام الكهف جعل الإحساس غريبًا ..

لم يكن خوفًا ..

لا خوف وسط هذه الأعداد الغفيرة من الناس ..

بل بالعكس كانوا جميعًا سعداء ..

وعلى جدران الكهف رسومات بدائية

تحكي شبه قصة عن معركة ما .. وشخص ما يركب الفرس ويحارب وفي يده بلطة ضخمة ..

لكن هذا الشخص – رغم أن الرسم بشع وطفولي – له شعر كثيف وربما قرون كذلك !!

خرافات معتادة ..

فجأة توقف الفوج ..

توقفوا أمام مقام بالفعل وسط حوش كبير داخل الكهف ..

بدأوا في وضع المشاعل على الأرض ..

وقفوا جميعًا على شكل دائرة كبيرة ثم دائرة أخري و دائرة أخري ...

سكوت .. توقفوا عن الغناء ...

ثم بدأوا نزع اللثام عن الوجوه ....

بدأت التوتر ...

ومع أول لثام يكشف فهمت الحقيقة ...

لا أعلم كيف أصف أشكالهم ...

لكن هم أقرب لمسوخ مشوهة ..

العيون عيون بشر ..

أما باقي الوجه فهو تشوهات كأن جلودهم ذابت وتصلبت من جديد علي غير انتظام ..

كان اللثام ينزع عن الوجوه واحدًا تلو الاخر في انتظام مدروس ...

أنا في ورطة ..

ما العمل ؟ ..

دقائق و سيصل دوري ..

ماذا هم فاعلون لو علموا أني اندسست وسطهم ؟؟

كيف سأنسحب من وسطهم ؟..

من خلفي دوائر ودوائر من المسوخ ..

صرت محاصرًا ولا سبيل للخروج..

حتي جاء دوري ..

ترددت ...

مرت دقيقة كاملة...

الكل ينظر لي بثبات الآن ..

نزعت اللثام عن وجهي في بطء و تردد ..

لحظات سكوت ..

نظراتهم كلهم بلا استثناء نحوي ..

بينما أنظر أنا إليهم في هدوء ..

اقترب أحدهم مني وبصوت مبحوح قال " أخيرًا استفقت يا من ضل طريقه ؟"

وبدأوا جميعًا يبتسمون لي ... كأنهم يتعرفون على .. كأني واحد منهم ..

وأكمل كلامه " نحن لم ننسي ولم نفقد فيك الأمل "

بدأت أشعر أن ذاكرة بعيدة في آّخر مخي تعود الى السطح ...

حياة قديمة و حروب قديمة ..

أتباع ..

أسياد ...

اجتمعوا جميعهم حولي و نادوا بصوت واحد " الباسوط ... الباسوط "

وكأن الركن المنطفىء من ذاكرتي قد اشتعل من جديد.

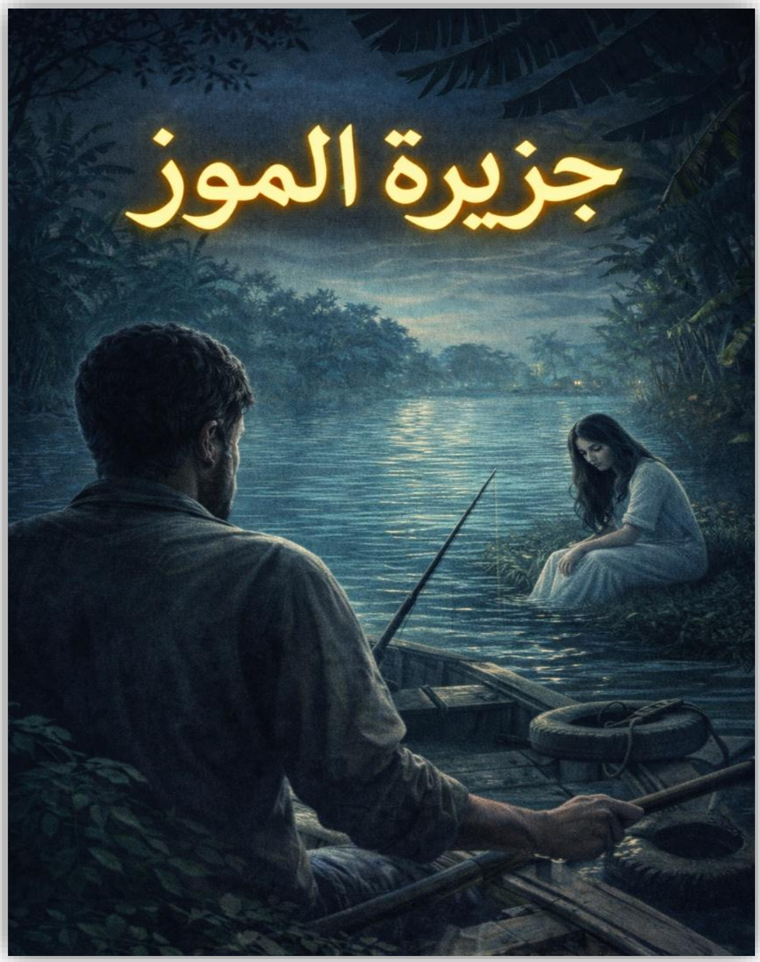
جزيرة الموز

جزيرة الموز

كنت عائدًا بعد غياب طويل إلى قريتي الصغيرة في كفر الشيخ ..

أفتقد بشدة الأرض الخضراء ورائحة الطبيعة وصيد السمك ...

كانت الرغبة ملحة أن أصطاد السمك بعد الفجر في جزيرة الموز وأستعيد ذكريات الماضي البعيدة ..

جزيرة الموز هي قطعة أرض بارزة في قلب مسار الترعة .. جزيرة قديمة جدًا

بجوار مدخل القرية خلف مقهى عم مرعي ....

تلك الجزيرة الصغيرة جدًا المغطاة بالكامل بأشجار الموز والتي يجهلها المارة ولا يستطيعون اكتشافها بسهولة .. ولكني أعرف تفاصيلها جيدًا.

على أطراف الجزيرة[1] وضع الصيادون إطارات السيارات مربوطة ومشدودة بحبل غليظ كمرساة بدائية للقوارب.

يقال كذلك أن السمك فيها أكثر وأكبر حجمًا ..

أخذت صنارتي والطعم وأنطلقت مبكرًا قبل أن تشتد الشمس على الجزيرة ..

وحيد بالمكان تمامًا وهدوء شديد...

إلا من صوت كروان يعبر من فوق رأسي طائرًا ..

مررت من خلال أشجار الموز ثم وقع قلبي في رجلي ...

صدمني وجود بنت في وجهي فجأة قرب الشاطئ مختفية خلف أشجار الموز ...

البنت أمتقع وجهها في رعب أكثر مني وكادت أن تصرخ ولكن حين نظرت إلى يداي وأنا ممسك بالصنارة هدأت و استجمعت أنفاسها ثم سألت بحذر:" إنت مين؟"

قلت لها متظاهرًا الهدوء: " أنا دكتور محمد دسوقي .. يمكن علشان على طول غايب محدش يعرفني ... ما تخافيش"

كانت ملامحها هادئة وبسيطة وجميلة .. جدًا..

ذات شعر أسود طويل لامع ... وعيون عسلية اللون و بشرة بيضاء صافية ..

ولكن لاحظت بقايا دموع وحزن في عينيها ... بينما هي تحدق في وجهي طويلاً .. كأنها تحاول أن تتذكر أين رأتني من قبل ..

ولكي أجعلها تطمئن لوجودي أخذت حجرًا كبيرًا ووضعته بجانب الشط وجلست فوقه وبدأت التجهيز للصيد ..

ولما شعرت هي بالأمان جلست هي الأخري مع الإحتفاظ بيني وبينها بمسافة آمنة .. وظلت تنظر سارحة إلى الماء ...

سألتها من دون النظر إليها :

"بتعملي إيه هنا وحدك الفجر كده؟ مش خايفة ؟"

ردت – دون أن تلتفت إلى –" لأ مش خايفة .. محدش غريب بيجي البلد هنا .. وبلدنا مفهاش أي مطمع كده كده"

فقلت لها " ولو .. برده المكان فاضي وعند مدخل القرية و إنتي وحدك كده .. مش أمان "

سكتت قليلاً وقالت :

"ده الوقت المناسب إن أجي هنا أفتكر حبيبي وزوجي الى راح مني وغرق على شط الجزيرة بزوره كل لما يوحشني"

الموضوع أثار اهتمامي ، نظرت إليها وسألت: "غرق إزاي؟"
سكتت قليلاً .. كانت متردده فقلت لها:" لو مش حابه تحكي بلاش"
قالت:" هي ذكريات صعبة . بس هحكيلك"
"كان إسمه أسامه خرج مع اثنين من زملائه (ياسر و عبيد) في يوم زي النهارده علشان يسبحوا في الميه ويصطادوا .. أختاروا جزيرة الموز وفضلوا هنا حوالي أربع ساعات لعب وضحك وعوم لحد ما قبل المغرب قرروا ياخدوا آخر غطس ويغتسلوا ويروحوا"
تنهدت .. وأخذت نفس عميق كأنها تقاوم البكاء .. ثم تابعت
" عبيد نزل إلى الماء الأول وفي ثواني أختفي .. أسامه نزل وراءه علشان ينقذه ولكن اختفي هو كمان ... ياسر خاف وطلع جري على الأهل علشان يلحقوهم ... وقبل العشاء ظهرت جثه عبيد على بعد 20 متر وفضل أسامه مختفي ... ياسر كان على وشك إن يتجنن وكل كلامه اصرار إن النداهة أخدتهم"
ابتسمت في تهكم دون أن تراني حين ذكرت إسم النداهة.. ولكن قلت معترضًا وانا أخفي أي سخرية .

" بس مفيش حاجة اسمها النداهة "

لمحتها بطرف عيني تنظر تجاهي .. ولمحت ابتسامة على وجهها بينما تمسح دموعها .. ابتسامة غير مريحة

ولكنها أكملت:

"الأهالي لما تعبوا من البحث لنص الليل ، راحوا للشيخ (حمدان) وسألهم : مين أجمل شاب فيهم؟ (عبيد) ولا (أسامه) ؟

(أسامه) كان شاب أسمر وسيم !! لكن (عبيد) أيضا كان شابًا ورياضي ..

عاد ليسألهم مين فيهم كان معيوب ؟"

اندهشت وسألتها "يعني ايه معيوب؟"

ردت شارحة : "يعني فيه عيب خلقي أو مشكلة في جسمه فقالوا (عبيد) كان عنده حرق في رجله الشمال واصابة كسر قديمة في كتفه لم تلتئم بشكل صحيح "

" قال الشيخ (حمدان) بيقين حاسم : تبقي النداهة وعلشان كده أخدت (أسامه) لأنها مش بتاخد حد معيوب أم (أسامه) يا عيني فضلت تصرخ منهارة وتقول عايزه ولدي .."

ثم عادت تنظر إلى وتابعت : " الشيخ حمدان قال لأم أسامة .. اذهبي لجزيرة الموز يا أم أسامة إنتي والخالات وتزغرطوا وتصفقوا وتأخذوا معاكم حلويات وملبس ترموها في الترعة مكان ما اختفوا عرفوا النداهة انكم فرحانين بدخلت إبنكم .. وإن اليوم يوم فرحة ، بعدها أطلبي منها ترجعه بعد دخلته لأمه تاني .. مش هتظهر جثته غير كده."

كنت قد بدأت أشعر بالتوتر من الحكاية السوداء هذه...

فسألتها وأنا مندهش :

"وأمه عملت كده؟"

ردت بحزن: "عملت كل دا ... رجعت الأم ومعاها الخالات لجزيرة الموز وهما بيزغرطوا وبيرموا ملبس وهدايا في الماء .. ساعة كاملة طبل وأغاني وزغاريط وبعدها انسحبت الخالات بعيدًا خارج

الجزيرة وفضلت الأم تبكي بالساعات وتقول للنداهة رجعي لي إبني لما يخلص دخلته وفضلت تلح وتبكي ...."

نظرت إليها في دهشة وسألت " وظهر أسامة ؟؟ "

ردت بحزن : " لا .. سنة كاملة .. كل يوم أجي الجزيرة أدور عليه .. على أمل أن اشوفه تاني "

سكتت البنت وهي تمسح دموعها التي عادت تذرف من جديد..

ولما طال السكوت نظرت تجاهي تبحث عني لتري رد فعلي على حكايتها .. فلم تجدني ... ثم شعرت بصوت أنفاسي الثقيلة خلفها مباشرة .

وقفت مذعورة ..

كنت أنظر إليها نظرة انتصار و قد استمتعت بقصتها ..

الآن تراني وقد ازداد طولي حتي صرت أطول من شجر الموز ذاته..

نظرت لي و هي تكتم أنفاسها فزعًا وقد برزت عيونها من مقلتيها رعبًا ..

وقبل أن تصرخ احكمت قبضتي علي صرختها .

نظرت إلى منهارة وهي تبكي في عدم استيعاب لما يحدث .. بينما تحاول ركلي مقاومة بقدمها دون جدوي ..

فقلت لها بصوت كهدير عميق " مفيش نداهة هنا ... أنا ساكن الجزيرة منذ الأزل ... "

ثم بدأت أرفعها عن الأرض وأسير في اتجاه الترعة .. بينما هي تصرخ صرخات مكتومة لا صوت لها وتحاول أن تقاوم بأظافرها ..

كانت على وشك الإغماء ..

فقلت لها " اقترب الشروق وحان الوقت كي تزوري كهفي .. وتعلمي أكثر أين ذهب أسامة "

وقبل أن أغوص بها في الماء

ظهر قارب صيد من طرف الجزيرة البعيد وقد قرر صاحبه أن يرسو عائدًا من رحلته .

مرعي ... نظر إلى ونظرت في عينيه .. ثم هز رأسه كعادته و لوح بيده .

نظرت إليه الفتاة مستغيثة ..

لكنه أدار قاربه مبتعدًا .. بينما كانت الفتاة تصرخ في هيستريا مكتومة غير مصدقة ...

أخذتها و هبطنا إلى البئر ...

وانغلق الماء فوقنا من جديد تاركًا دوامة بسيطة

بينما يصيح الكروان من بعيد كشاهد على ما حدث..

كما كان شاهدًا على أسامة من قبل ...

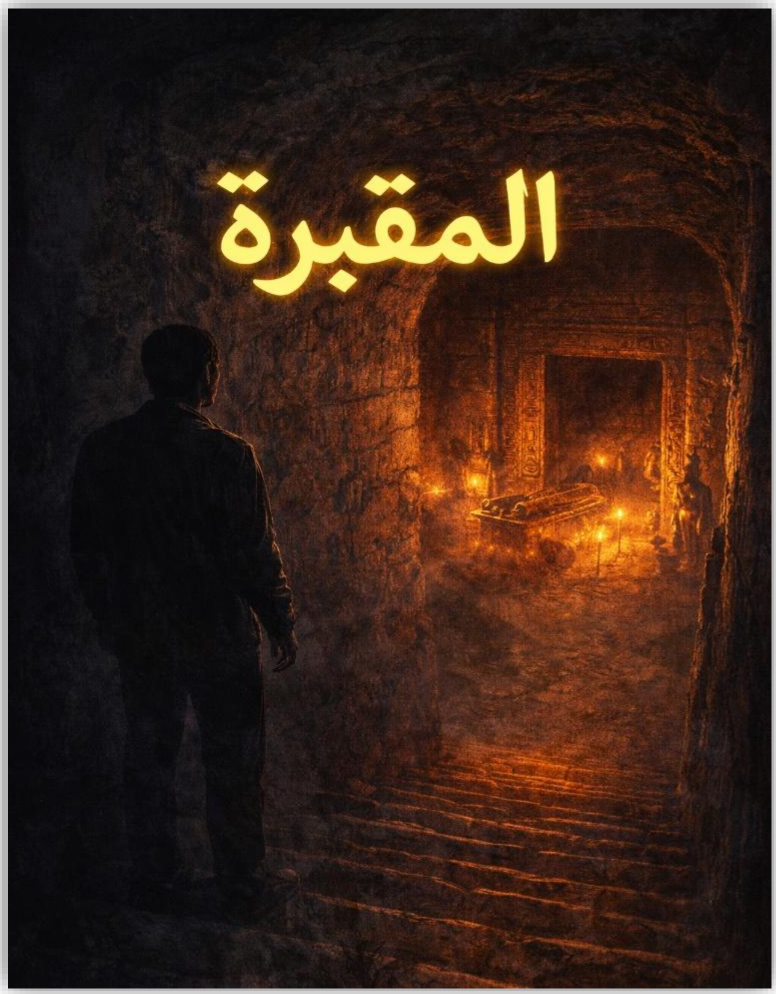
المقبرة

المقبرة

ذكريات تطاردني مع كل ليلة تمر وأنا وحيد منذ أكثر من 20 سنة ..

الخوف من تجربة فشلت بكل الطرق أن أمحوها من ذكرياتي حتي أستطيع أن أكمل ما تبقي من حياتي ..

كل ليلة تمر وأنا وحيد أنتظر فيها مصيراً مجهولًا مرعبًا لا أعلمه ..

وصارت رغبتي أن احيط نفسي بالناس دومًا ..

أزور بشكل يومي بيت الحج (حمدان) في النهار ... اطوف حوله ..

لأتأكد و اطمئن أن البيت هادئ و خالٍ من الحياة كما هو ..

وأن الخوف والرعب والأسرار في قلب البيت لم تخرج خارجه ...

وقبل الليل ...

أهرب بعيدًا عن البيت كهروبي من الموت نفسه..

وأسأل نفسي .. هل استطعت أن أدفن السر ؟؟

هل سيغفر لي ربي على ما حدث تلك الليلة التي قضيتها في ذلك البيت الملعون؟

هل القصة فعلاً انتهت؟

البداية كانت ليلة في شتاء 2002 ..

عندما اتفق معي (أنور) إبن الحج (حمدان) - الله يرحمه - صديق طفولتي على فتح المقبرة الفرعونية تحت بيت جده ...

كان قد استعد استعدادًا جيدًا ..

مع التأكيد أن السر لابد أن يبقي بيننا فقط ...

لا أصدقاء ..

لا أهل ..

لا سبيل للمزاح أو أي حديث في هذا الشأن..

نستخرج الكنز المزعوم ... ونختفي ..

كنت خائفًا و متوترًا بشدة ..

لكن الطمع و الحالة الضنك جعلني أوافق على مشاركته دون تردد ..

كان ينتظرني في بيت جده الساعة 12 بعد منتصف الليل ..

طرقت باب البيت العتيق برفق...

فتح (أنور) الباب ..

دخلت و هو ينظر يمينًا و ينظر يسارًا ..

لا مخلوق في الشارع و الدنيا سكون ..

أدخلني وأغلق الباب في حذر..

سألني :" حد شافك ؟؟" " لا " ...." حكيت مع أي حد؟؟" "لا" ..."أوعي يا (نجيب) الموضوع ده مفهوش هزار" .. "يا عم والله لأ" ..

دخلنا إلى حوش البيت ..

بيت من البيوت القديمة بحوش كبير في الوسط ..

الغرف على اليمين و اليسار بينما ارتفاع السقف قد يصل إلى 5 أمتار تقريبًا ..

أيام الخير و المساحات الكبيرة و العائلات الكبيرة أيضًا ..

البيت مظلم جدًا... وكان في وسط الحوش حفرة كبيرة ...

(أنور) كان قد أحضر كشافين بطارية ولفة حبل و جهازين لا سلكي ...

الله وحده أعلم كيف أتي بهم ..

كان يغطي الحفرة بلوح خشبي 3 متر في 3 متر ..

وعندما ازاح اللوح وجدت سلم درج !!

درج عميق لأسفل الأرض لا نهاية له ..

سألت (أنور) :" (أنور) انت هتنزل الدرج ده ؟؟ وهيوصلك على فين ؟؟"

رد :" أي كان .. هناك هلاقي الكنز الى جدي ياما حكي عنه زمان تحت البيت .. أنا قتيل المصلحة دي" ..

نظرت في عينيه .. عيون مجنون فقد السيطرة نهائيًا والعودة أصبحت مستحيلة ..

وفجأة وجدنا خارجًا من الحفرة ؟!!...

ديك أسود .. !!

في البداية شعرنا بصوت خطواته الخفيفة ..

وأمسك (أنور) بذراعي متوجسًا .. فسلطنا الكشاف لنراه.

بصوت مرعوب سألته :" ايه الديك ده وجاي منين ؟"

سكت قليلًا وهو يفكر ثم بتردد قال :" معرفش !! جايز نط من سطح حد من الجيران و سهاني ونزل هنا ولما فتحنا ما صدق طلع !"

سكتنا وخرج الديك من الحفرة و انطلق يدور في الحوش كمن يبحث عن طريق للخروج ..

سألته : "خطتك إيه ؟"

رد بكل ثقة :" أنا هربط نفسي بالحبل دا من وسطي وهنزل وإنت هتستني هنا ونتابع بعض بالاسلكي .. الحبل دا طوله 100 متر وأظن مش هنحتاج أكثر من كده يعني"

سكت وبدأ يلف الحبل حول وسطه ...

هدوء الشارع غريب ..

لا وجود لأي صوت سوي صوت غراب ينعق من مكان قريب !!

غراب بالليل ؟؟ جايز..

أمسك (أنور) الكشاف وسلطه على الدرج العتيق ..

رائحة بشعة بشكل لا يوصف خارجة من قلب الحفرة ..

ألعن رائحة يمكن تخيلها..

كتمت أنفاسي من هول الرائحة .. و(أنور) لم يبالي ..

أو لعل الرائحة دمرت خلايا حاسة الشم عنده.

بدأ (أنور) النزول .. ينزل ينزل ينزل حتي صرت لا أراه ...

وسمعته من اللاسلكي ينادي :" (نجيب) .. السلم ده غويط أوي ومش باين له نهاية !!"

كنت متوتر جدًا وواقف وحدي ..

نسيت اقول أن الديك ايضًا اختفي ..

لم و لن أخبر (أنور) حتي لا يتشتت ذهنه بأمور لا داعي لها ..

بصوت قلق قلت :" (أنور) ... ما بلاش .. اطلع و تعال نسأل حد بيفهم في الأمور دي"

- "بس بقي اجمد .. أنا مكمل "

استمر أنور في النزول تباعًا والحبل في يدي ينسحب برتابة وانتظام ..

لحظات سكوت....

ثم سمعت صوت (أنور) في الراديو مدهوشًا :" (نجيب) ... ده في نور تحت!!"

-" نور؟؟"

-" اه والله نور ... إيه الكلام ده وإزاي ؟"

كان بدأ يتحدث بهمس ..

وشعرت من صوته بالخوف ...

وسحب الحبل اصبح بطيئًا .. ما معناه أنه بدأ التردد والقلق.

-" ما تطلع يا (أنور) "

-" هششششش"

لاحظت أنه بدون أن ننتبه .. سحب (أنور) نصف الحبل !! ..

(أنور) هبط حوالي 50 متر تحت الأرض !!

مرت 5 دقائق من السكوت ولاحظت أن يداي ترتجفان ..

فجأة سمعت صوت (أنور) بسعادة غامرة :" ولا يا (نجيب) ... إيه كل الذهب دا ؟؟ كنوووز ... يا دين النبي !! أقنعه وتماثيل و مجوهرات .. لعبت يا عم الحج خلاص ... بس أنا لسه مش فاهم النور دا جاي منين برده ؟!! إنت سامعني ؟"

غمرتني السعادة و الراحة بينما يصف أنور الكنز:" سامعك سامعك يا (أنور) ... طيب هتعمل إيه ؟"

-" بص أنا هقلع الجلابية و اعملها شيكارة اعبي فيها الى اقدر عليه و أطلع لك و ...."

وسمعته يصرخ صرخة لم أسمع أبشع ولا أفظع منها في حياتي ...

وفي أقل من ثانية انسحب الباقي من الحبل لقلب الحفرة ..

استلقيت على الأرض بجانب الحفرة احاول أن ارمي بعيني داخلها ..

ربما أفهم أو أري أي شيء وانادي بصريخ مكتوم :" (أنور) ... (أنور)" !!

لا رد ... ولا أدري ما العمل !!...

10 دقائق مروا على كأنهم الدهر ...

فجأة سمعت الراديو اللا سلكي يخروش بأصوات غير مفهومة ..

بعدها سمعت صوت (أنور) .. صوته هاديء تمامًا و ساكن ولكن نفسه ثقيل وهو يقول :" الموضوع ده مش هينفع يا (نجيب) ... أنا

غلطان و استاهل ... سامحني يا (نجيب) ... بالله عليك ما تعرف أي حد إني نزلت هنا ... ولا تحكي لأمي أي حاجه ...واقفل الغطا تاني بتاع الحفرة و اردم عليا .. أنا مش هطلع تاني !!!! "

وسكت !! ...

قلبي على وشك أن يسكت هو الأخر ... ولا أقدر على الكلام ...

بصعوبة ابتلعت ريقي و بصوت مرتعش قلت له :" (أنور) .. يا (أنور) إيه الهبل الى بتقوله ده ؟؟ إطلع يا (أنور)" ..

ثم حدثت اللحظة التي لن أقدر على مسحها من خلايا مخي ولن أقدر على نسيانها حين سمعت ذلك الصوت الغليظ المعدني الأجش الخارج من اللاسلكي : "(أنور) مات يا (نجيب)" .

الفهرس

كفر شديد...11

طريق الزعفرانة...23

الشيخ حمدان..35

أسطورة نرسيس..45

سينما مايكرو...61

كوفيد 19 75

بذور 93

غرفة 105 104

مولد سيدي البسيط 119

جزيرة الموز..131

المقبرة...141